سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شرح
نظم مقدمة رسالة
ابن أبي زيد القيرواني

الشيخ
حامد بن خميس الخنيني

>> قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية <<

من هنا باقي التفريغات

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغ

شرح نظم مقدمة رسالة

ابن أبي زيد القيرواني

للشيخ:

حامد بن خميس الجنيبي

حَفِظَهُ اللهُ تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فنحمد الله – سبحانه وتعالى – على منِّه وكرمه – سبحانه – أن تفضل علينا بهذه المجالس العلمية التي نرجو من الله – سبحانه وتعالى – النفع بها، والتوفيق والسداد منه – سبحانه –

فهذه المجالس هي مجالس قربة إلى الله – سبحانه وتعالى – والنفع منه – عز وجل – يبتغى بها وجه الله – سبحانه وتعالى – وهي مفاتيح يستعين بها السائر على طريق طلب العلم، والتعرف إلى العلوم الشرعية، فيفيد ويستفيد وينتفع بحول الله – سبحانه وتعالى – بهذه المفاتيح التي هي مدخل لما هو أوسع منها من العلوم الشرعية الكثيرة المتنوعة.

ربنا – سبحانه وتعالى – أنعم علينا في هذه الدولة المباركة بولاة أمر يعتنون أشد العناية بكل ما هو متعلق بالشريعة وبالدين ونشرها، ولذلك كان من لا يشكر الناس لا يشكر الله – سبحانه وتعالى – ومن شكر الله – عز وجل – الشكر لولاة الأمر على الخير الذي ينتفع به القاصي والداني في باب العلم الشرعي، وكذلك كل القائمين من الجهات الرسمية وأخص هنا بالذكر دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي التي تشرف على مثل هذه اللقاءات النافعة العظيمة.

وأيضًا الجهة المنظمة لهذه المجالس النافعة أعني مركز رياض الصالحين، أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بجهودهم، وأن يوفقهم لما يحب ويرضى.

ونحن في هذه الدورة العلمية بين يدينا هذه الرسالة أو هذا النظم النافع، نظم جميل لطيف لعالم من علماء الإسلام، قد أوجز فيه العبارة وأوضح فيه المعنى بما يوضح المراد والمقصود بحول الله – سبحانه وتعالى –

وأن مما ينبغي ذكره هنا فيما يتعلق بالعلم الشرعي والعلم الذي نحن بصدد الكلام عليه الذي هو علم العقيدة الإسلامية، علم العقيدة الإسلامية هو أعظم العلوم وأشرفها، وأعلاها رتبة ومنزلة ولا يستغني مسلم عن تعلم هذا العلم؛ لأنه أصل العلوم وآكدها، وأهمها، وليس من العلوم شيء يطلب تحصيله مثل علم العقيدة الإسلامية في الرتبة ولا في المنزلة، بل إن معرفة هذا العلم واجبة على الأعيان بما تضمنته من التوحيد، والإيمان بالله – تعالى – وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وكذلك لما تضمنه هذا العلم من المسائل الكبار التي صارت شعارًا لأهل السنة خلافًا لفرق الضلالة، كبدعة الخوارج التي نشأت في قرن الصحابة – رضي الله عنهم – فاستحلوا الدماء والأموال والأعراض وخرجوا على أئمة الإسلام.

وقرينتها بدعة الاعتزال التي ترجع في أصولها الخمسة المعروفة التوحيد ويريدون به، ويقصدون به نفي الصفات عن الله – سبحانه وتعالى – والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقصدون به الخروج على أئمة الجور، والوعد والوعيد والذي حاصله انفاذ الوعيد في أهل الكبائر بتخليدهم في نار جهنم، كما يقولون، وكذلك ما يسمى بالمنزلة بين المنزلتين حاصل اعتقادهم فيه: أن الفاسق لا يستحق لفظ الإيمان، وإذا مات ولم يتب كان خالدًا في نار جهنم، وأصلهم الخامس الذي يسمونه بالعدل، وحاصل اعتقادهم فيه نفي القدر، ونفي خلق الله – سبحانه وتعالى – للشر.

ومثل هذه الاعتقادات التي تكررت وأخذت من تلك الاعتقادات الأصلية؛ بدعة الاعتزال، وبدعة الخوارج، انجرَّت خلفها كثير من البدع المحدثات التي جرَّت على بلاد الإسلام وأهل الإسلام ودين الإسلام الشر العظيم الذي كان أهل الإسلام في غنى عمّا حصل لهم من تلك الفتن؛ ولذلك انبرى أهل العلم والإيمان منذ زمن الصحابة – رضي الله عنهم – إلى يومنا هذا لبيان العقيدة الإسلامية الصحيحة كما جاء بها النبي – صلى الله عليه وسلم –

ومن أولئك العلماء الربانيين عالم دار الهجرة وإمامها الفقيه المحدث أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري، المدني، أحد أئمة الإسلام وعلمائه الكبار، جمع

الله – سبحانه وتعالى – له بين العلم والعمل والزهد والتواضع والصدق والاتباع، وكان شديد التعظيم لسنة النبي – ﷺ –

وكانت له مقالات وأحوال تدل على شريف منزلته، وعلمه وقدره، وتوضح مكانته – رَحِمَهُ اللَّهُ – حتى صار أحد الأئمة الأربعة الذين استقرت مقالة أهل السنة على إمامتهم، فصار له اتباع يسيرون على أصول مذهبه ومسلكه في الاعتقاد والعلم والعمل – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة –

ومن أولئك الذين ساروا على أصول الإمام مالك – رَحِمَهُ اللَّهُ – الإمام العلامة الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد في مدينة القيروان سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة، وهو عالم بلاد المغرب ومرجعها في وقته – رَحِمَهُ اللَّهُ – جمع مذهب مالك بن أنس، وجمع فقهه، وشرح أقوال المذهب، حتى صار إمام المالكية في المغرب، ولقب بمالك الصغير، وصنف – رَحِمَهُ اللَّهُ – في مذهب مالك التصانيف النافعة البديعة التي سارت بها الركبان، وعمَّ نفعها في البلدان، والتي من أهمها وأعظمها كتابه "الرسالة" الذي صار أحد أهم الكتب المصنف في التعرف إلى مذهب الإمام مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ –

وقد اعتنى بها – اعني: كتاب "الرسالة" – اعتنى بها بهذه الرسالة علماء المالكية عناية وافية، وتناوبوا على شرحها، وقد وضع الله – سبحانه وتعالى – لها القبول في صدور الخلق، حتى صار لها عناية حتى من غير أئمة المالكية – عليهم رحمة الله تعالى –

ولذلك هذه الآن "الرسالة" التي وضعها – رَحِمَهُ اللَّهُ – أعني "الرسالة" وضع في مقدمتها بيانًا ملخصًا مختصرًا معتصرًا لعقيدة الإمام مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – وهي التي نظمها العلامة أحمد بن مُشَرَّف في هذه المنظومة التي بين أيدينا.

توفي ابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ – في سنة ستٍ وثمانين وثلاثمائة من هجرة النبي – ﷺ – وأما الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – ومؤلف النظم فهو: العالم الجليل أحمد بن علي بن حسن بن مُشَرَّف الوهيبي التميمي قاضي الأحساء وعالمها، ولد في بلدة الزبارة في أوائل القرن الثاني عشر.

وكان – رَحِمَهُ اللَّهُ – كفيف البصر منذ صغره، سافر إلى الأحساء وتعلم العلوم الشرعية فيها على علماء المالكية وأخذ عن الشيخ الجليل المؤرخ مؤرخ نجد، الشيخ حسين بن غنام – رَحِمَهُ اللَّهُ – وكان

قد رحل إلى الرياض فأخذ عن علمائها، وله قصائد نافعة في مختلف العلوم الشرعية، حصل النفع بها، وله ديوان في الشعر، توفي – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – سنة خمس وثمانين ومائتين وألف من هجرة رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

ولعلنا نشرع الآن في المقصود والله – سبحانه وتعالى – وحده المستعان.

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ – في منظومته:

الحمـــدُ لله حمـــداً ليـــس مُنحصـــرا *** علـــى أياديـــه مـــا يخفـــى ومـــا ظهـــرَا
ثـــم الصـــلاةُ وتســـليمُ المهمـــينِ مـــا *** هـــبَّ الصبَّـــا فـــأدرَّ العـــارضُ المَطـــرَا
علـى الـذي شـاد بنيـانَ الهُـدى فسَـما *** وسـاد كـلَّ الـورَى فخـراً ومـا افتخـرَا
نبيِّنـــا أحمـــد الهـــادي وعَتْرتـــه *** وصحبِـه كـلِّ مَـن آوى ومـن نصـرَا
وبعـدُ فالعلـمُ لـم يظفـر بـه أحـدٌ *** إلاَّ سَمَـا وبأسبـاب العُلـى ظفـرَا
لا سيـما أصـل علـم الـدِّين إنّ بـه *** سعـادةَ العبـد والمنْجَـى إذا حُشـرَا

الشرح:

شرع الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – في هذه المنظومة بحمد الله – تعالى – ولم أقف على ذكر البسملة في صدر هذه القصيدة، وهل ذكر المؤلف – رَحِمَهُ اللَّهُ – فيها ذلك أم لا؟

فالله أعلم، ولعله إن لم يذكرها إن ثبت عدم ذكره لها أنه كان يرى برأي من كان يقول من أهل العلم: بعدم ذكر البسملة في صدر الشعر.

وقد قال العلامة القرطبي – رَحِمَهُ اللَّهُ – في تفسيره قال:(فإن كان الكتاب ديوان شعر فروى مجاهد عن الشعبي قال:أجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر "بسم الله الرحمن الرحيم"

وقال الزهري:مضت السنة ألا يكتبوا في الشعر "بسم الله الرحمن الرحيم"

يقول: وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر سعيد بن جبير، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين، قال أبو بكر الخطيب:هو الذي نختاره ونستحبه)[1]. انتهى كلام القرطبي – رَحِمَهُ اللَّهُ–

وقوله: "الحمد" هو لغة نقيض "الذم".

ويطلق على الثناء، قال الأنباري: "الحمد عند العرب" الثناء على الرجل بأفعاله الكريمة.

إذا قال الرجل: "حمدتُ فلانًا" فمعناه اثنيتُ عليه، ووصفته بكرم أو شجاعة أو حسب.

قال الشاعر:

نزور امرئً أعطى على الحمد ماله ومن يعطي أثمان المحامد

انهتى كلامه[2].

والحمد في الشرع هو: الإخبار عن محاسن المحمود محبة وتعظيمًا.

وهذا أفضل وأكمل ما قيل في تعريف الحمد: الإخبار عن محاسن المحمود محبة وتعظيمًا، فيخبر الحامد عن محاسن المحمود مع محبته وتعظيمه.

بخلاف المدح الذي قد لا يكون معه محبة وتعظيم، فالحمد أكمل، ويكون الحمد مع المحبة والتعظيم، ذكر المحاسن، محاسن المحمود محبة وتعظيمًا.

والله – سبحانه وتعالى – مستحق لكمال الحمد، و كل من يحمد من الخلق على شيء فإنما هو لأجل ما جعل الله – سبحانه وتعالى – له من النعم التي أنعم الله بها عليه.

(1) – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(1/ 263)

(2) –الزاهر في معاني كلمات الناس (454)

يقول ابن عبد البر في "الاستذكار" عن سورة الفاتحة:

(فيها الثناء على الله بما هو أهله، وما يستحق من الحمد الذي هو له حقيقة لا لغيره؛ لأن كل نعمة وخير فمنه لا من سواه، وهو الخالق الرازق، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو المحمود على ذلك، وإن حُمِد غيره فإليه يعود الحمد)[1]. انتهى كلامه – رَحِمَهُ اللَّهُ –

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي – ﷺ – قال، أو الحديث الحسن: «أفضل الدعاء الحمد لله»[2]

فسمى النبي – ﷺ – الحمد دعاء، وذلك أن الحمد يتضمن المحبة والثناء، والمحبة نوع طلب، فيها نوع طلب للمحبوب؛ لأن المحب يطلب من المحبوب.

فالمحبة نوع طلب من المحبوب، فصارت نوعًا دعاء الذي هو طلب.

وقوله: "لله" قال خليل في مختصره:

"الله" علم على الذات.

يعني: اسم لله – سبحانه وتعالى – اسم لذات الرب – جلَّ جلاله عز وجل –

يقول القرطبي – رَحِمَهُ اللَّهُ –:("الله" هذا الاسم الأكبر أو هذا الاسم أكبر الأسماء.قال: هذا الاسم أكبر أسمائه – سبحانه – وأجمعها). انتهى كلامه.

وهذا الاسم لا يطلق إلا على الله – تبارك وتعالى – فلا يسمى غير الله – سبحانه وتعالى – باسم "الله" بل يسمى بأي اسم آخر، ولا يجوز إطلاق هذا الاسم على غير الله – سبحانه وتعالى –

وقوله: "ليس منحصرًا" الحصر هو: التضييق على الشيء مع الإحاطة به.

وسيأتي معنا بيان قوله – تعالى –: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]

---

(1) – الاستذكار (4/ 186)

(2) – صحيح الجامع (١١٠٤)

وقوله: "على أياديه"

"الأيادي" جمع "يد" وهي في هذا الموضع بمعنى النِّعم.

وسيأتي المعنى الآخر الذي هو بمعنى اليد حقيقة.

يقول الأزهري – رَحِمَهُ اللَّهُ – في "تهذيب اللغة" قال:

(وقال الليث: تجمع يد النعمة: أيادي ويَدِيَّ.وتجمع اليد التي في الجسد أيادي). انتهى كلامه.

يقول الشاعر:

لـــه علـــيَّ أيـــادي لســـت أكفرهـــا وإنمـــا الكفـــر أن لا تشـــكر الـــنعم

وقول الناظم: "ما يخفى وما ظهر".

أي نعمه الخفية والظاهرة – سبحانه وتعالى – قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]

والباطنة هي: الخفية.

يقول أهل العلم: الظاهرة هي ما تكون على اللسان والجوارح والأبدان.

والباطنة هي: ما تكون على العقول والقلوب.

وكذلك ما أخفاه الله – سبحانه وتعالى – أو أدَّخره لعباده.

ويقول الطبري – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (وقوله: "ظَاهِرَةً" يقول: ظاهرة على الألسن قولاً، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً.وقوله: "وَبَاطِنَةً" يقول: وباطنة في القلوب اعتقادًا ومعرفة). انتهى كلامه.

وكذلك فسرها بعض أهل العلم بأن الظاهرة هي الصحة والمال، وغير ذلك.

والباطنة هي: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها ستر القبيح من الأعمال.

وقيل الظاهرة: نعم الدنيا.

والباطنة: نعم العقبى.

ذكر ذلك ابن جزيم في تفسيره.

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" بإسناده إلى مجاهد – رَحِمَهُ اللَّهُ – في قوله:

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] قال: أما "الظاهرة" الإسلام والرزق.

وأما "الباطنة" فما ستر من العيوب والذنوب.

أسأل الله أن يستر علينا وعليكم – سبحانه –

والمقصود هنا في هذا البيت أن الحمد الكامل المطلق يكون لله – سبحانه وتعالى – الذي أنعم على خلقه بمختلف أنواع النعم والآلاء ظاهرها وباطنها، وأكرمهم بها، قال – سبحانه –: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]

فالحمد الكامل لا يكون إلا لله – سبحانه وتعالى – والنعم منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، والحمد يجب أن يكون على كل تلك النعم.

ثم قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –: "ثم صلاة وتسليم المهيمن ما هبَّ الصبا فأدرَّ العارض المطرا"

الصلاة هي من الله – سبحانه وتعالى – ثناء من الله على نبيه في الملأ الأعلى.

وهي في اللغة: الدعاء.

والصلاة من الملائكة والمسلمين هي: دعاؤهم للنبي – ﷺ – بأنَّ يثني الله – سبحانه وتعالى – عليه في الملأ الأعلى.

أخرج القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه "فضل الصلاة عليا لنبي – ﷺ –" بإسناد صحيح إلى أبي العالية في قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال: (صلاة الله – عز وجل – عليه ثناؤه عليه، وصلاة الملائكة عليه الدعاء).

وقوله: "وتسليم" السلام: اسم من أسماء الله – سبحانه وتعالى –

وقول القائل لغيره: "السلام عليك" قال أهل العلم هو دعاء له بالسلامة من كل آفة ومرض.

ودعاء له بأن يحفظه الله – سبحانه وتعالى – وأن يكلأه ويرعاه، فكأنه يقول:

الله يا من اسمه السلام" سلِّم فلانًا من الآفات والأمراض، وسلِّم نفسه.

ولذا كان معنى قولنا: "السلام على النبي" الدعاء له – ﷺ– بالسلامة في نفسه وعرضه، ودعوته، وأمته من كل نقص.

وقد أمرنا ربنا – تبارك وتعالى – أن نصلي ونسلم على رسوله – ﷺ– فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

يقول القرطبي – رحمه الله–:(هذه الآية شرَّف الله بها رسوله – ﷺ– حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك)[1]. انتهى كلامه

الأحاديث وردت في ذلك كثيرة في فضل الصلاة على النبي – ﷺ– وعلم النبي – ﷺ – أصحابه كيف يصلون عليه، والنبي – ﷺ– يقول:« إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ ملائكةً سَيّاحينَ في الأرضِ، يُبلِّغوني مِن أُمَّتي السَّلامَ »[2].

كان ابن عمر – رضي الله عنهما– يحرص إذا رجع من سفر أن يأتي قبر النبي – ﷺ– وصاحبيه للسلام عليهم، كما أخرج القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه "فضل الصلاة على النبي" بإسناد صحيح عن عبد الله بن دينار قال:

(رأيت ابن عمر إذا قَدِمَ من سفر دخل المسجد فقال: "السلام عليك يا رسول الله، السلام على أبي بكر، السلام على أبي. ويصلي ركعتين)[3].

---

(1) – تفسير القرطبي (14/ 232)

(2) – أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (٤٣٢٠) واللفظ له

(3) – المصنف (6724)

يقول: "المهيمن"

يقول الناظم: "المهيمن" والمهيمن من أسماء الله – سبحانه وتعالى – الحسنى.

كما قال – سبحانه –: ﴿ هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]

فيقول الطبري:

أصل الهيمنة الحفظ والارتقاء، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه.

فهو: يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن.

وقال الزجاج:

ويقال: إن المهيمن الرقيب.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة زمقاتل والسُّدي:

المهيمن" الشهيد" أي: على عباده بأعمالهم من خير وشر كقوله: ﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: ٤٨]

وإذا تأملت هذه المعاني وجدتها تدور على معنى واحد وهو: أنه الشهيد والرقيب الذي هو اطَّلع على دقيق الأعمال وجليلها، قليلها وكثيرها، وأنَّ العباد كلهم لا يخرجون عن علمه ولا عن ملكه – تبارك وتعالى –

يقول الشاعر:

شـــــهيد علـــــيَّ أني أحبهـــــا كفـــى شـــاهد رب العبـــاد المهـــيمن

قال: "ما هبَّ"

تقول: هبَّت الريح تهبُّ هبوبًا وهبًّا وهبيبًا.

قال ابن سيده: (هبَّت الريح تهب هبوبًا، وهبيبًا ثارت وهاجت)[1].

وقوله: "الصبا" الصبا ريح تهب من جهة الشرق إذا استوى الليل والنهار.

وتقابلها من الغرب ريح "الدبور" ولذلك العرب تسمي ريح الصبا بـ"القبول" والتي تأتي من الغرب تسميها "الدبور".

يقول الشاعر:

فـإن الصـبا ريـح إذا مـا تنسـمت على كبـد محـزون تجلـت همومهـا.

وذكرها بعضهم بقوله:

على نفس مغموم تجلَّت غمومها.

قال: "فأدرَّ العارض"

يقال: درَّ الشيء إذا سال بكثرة.

قال – تعالى –: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾ [الأنعام: ٦]

وقال – سبحانه –:﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ [هود: ٥٢]

و"العارض" قال الخليل ابن أحمد الفارهيدي:

و"العارض" من كل شيء ما استقبلك، كالسحاب العارض، ونحوه، والعَرْضُ السحاب[2].

(1) – لسان العرب – ابن منظور – (1/ ٧٧٨)

(2)–كتاب العين – الخليل الفراهيدي(1/ ٢٧٤)

وقال أبو إسحاق إبراهيم أبو إسحاق الفرابي: (والعارض السحاب قال الله – عز وجل –: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤])

والفرابي هذا ليس هو الفيلسوف أبو نصر محمد الفرابي.

قال: "العارض" هي بالرفع رأيتها في بعض المواضع بالنصب وهو خطأ بل هي بالرفع.

والمقصود في هذا البيت أي: بعد حمد الله – تعالى – على نعمه نصلي ونسلم على النبي الكريم كلما هبت رياح الصبا فأدرَّ السحاب المطر.

ثم قال الناظم:

على الـذي شـاد بنيـانَ الهُـدى فسَـما *** وسـاد كـلَّ الَـورَى فخـراً ومـا افتخـرَا

"على الذي" أي: نبينا محمد – ﷺ –

وقوله: "شاد" أي: بنى ورفع.

قال الأزدي بن دريد:(فأما المشيد فالمطول والمرفوع، وتقول: شاد فلان بذكر فلان إذا رفعه).

وقال ابن الأثير:(يقال: أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره).

من أشدتُ البنيان فهو مشاد، وشيَّدْتُه إذا طولته. انتهى كلامه.

ويقول القاسم ابن سلام:(وكذلك كل شيء رفعته فقد أشدته ولا أرى البنيان المشيد إلا من هذا).

قوله: "فسما" الفاء هنا تفيد العطف، أي: أنه أشاد بنيان الهدى وارتفع ذلك البنيان.

وقوله: "سما" أي: ارتفع وعلا.

تقول: سما الشيء يسمو سموًّا أي: ارتفع وسما إليه بصري أي ارتفع بصري إليه.

وقوله: "ساد" هو فعل ماضٍ والسيد الذي هو الذي فاق قومه أو ترأس عليهم، يقال له: سيد، ويقال: ساد فلان إذا صار سيدًا على قومه.

قال الشاعر:

قـــد ســـاد وهـــو فتـــى حتـــى إذا بلغـت أشـده وعـلا في الأمـر واجتمـعَ

وقوله: "الورى" الخلق قاله الحربي في غريب الحديث.

وقوله: "فخرًا وما افتخر" ثبت في الحديث الصحيح عنه – ﷺ–: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[1]

يقول أهل العلم: ولم يقصد به – ﷺ– الافتخار ولا التطاول على من تقدمه، بل قاله بيانًا لما أمر ببيانه وتبليغه.

ولهذا قال – ﷺ–:«ولا فخر» لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام. فهو – ﷺ– حاز الفخر، ولكنه لم يفتخر بذلك – ﷺ– بل نهى أمته أن يفاضلوا بينه وبين غيره من الأنبياء بما يفهم منه انتقاصهم – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –

ثم قال الناظم:

نبيِّنا أحمد الهادي وعَتْرته *** وصحبِه كلِّ مَن آوى ومن نصرَا

"الهادي" قال الله – تعالى –: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]

فالنبي – ﷺ– هو الهادي إلى صراط الله – تبارك وتعالى –، والهداية هنا هي هداية دلالة وإرشاد إلى الشريعة التي نزلت عليه – ﷺ–

(1) – صحيح ابن ماجه (٣٤٩٦)

وهذه الهداية لا تستلزم الهدي التام، بل هي سبب وشرط، وهذا النوع من الهداية انكرها بعض أهل الكلام، وقالوا:

ليس ثمة إلا هداية من الله – تعالى –

وهذا يعارض الثابت من كتاب الله – تعالى – وسنة رسول الله – ﷺ – النبي – ﷺ – أثبت ذلك، والله – سبحانه وتعالى – أثبت هذه الهداية؛ ولذلك يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]

أخبر الله – سبحانه وتعالى – أنه أرسل إليهم من يهديهم ولكنهم استحبوا العمى على الهدى.

وأما الهداية الأخرى فهي هداية التوفيق والإرشاد، هداية التوفيق – المعذرة – هي هداية التوفيق.

الأولى هي: هداية الدلالة والإرشاد.

والثانية: هي هداية التوفيق.

وهذه الهداية هداية التوفيق هي التي تكون من الله – تبارك وتعالى – قال الله – تبارك تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]

قال النبي – ﷺ –: «من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»(١)

وقوله – رحمه الله –: "ونبينا أحمد الهادي"

"أحمد" هو اسم من أسماء النبي – ﷺ – النبي – ﷺ – له أسماء قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]

(١) – صحيح ابن ماجه(١٥٤٧)

وثبت في الصحيح من حديث محمد بن جبير بن مطعم – عن أبيه – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[1] الحديث.. متفق عليه.

وقوله: "وعترته" قال أبو هلال العسكري:

"العترة" هم الأصل في قول، والأهل وبنوا الأعمام في قول آخر.

وقوله: "وصحبه" الصحب جمع صاحب.

والصاحب هو الملازم والمرافق والمعاشر وكل من لاءم الشيء.

وأصحاب النبي – ﷺ – هم كل من لقيه – ﷺ – مؤمنًا به، ومات على ذلك، وإن تخللت ردة على الأصح.

يعني: بأن يرتد ثم عاد إلى الإسلام.

وتفصيل هذا في غير هذا الموضع.

وقوله: "آوى" التأوي معناه: التجمع، و"المأوى" كل مكان يأوي إليه الإنسان ليلاً أو نهارًا.

قال الله – تعالى –: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ ﴾ [الكهف: ١٠] الآيات.

يقول ابن أبي زمنين في قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [الأنفال: ٧٤]

قال: (يعني الأنصار آووا المهاجرين ونصروا الله ورسوله)[2]. انتهى كلامه من تفسيره.

وهنا ذكر المصنف في هذا البيت: الصلاة اولتسليم على النبي – ﷺ – وعلى عترته" وعلى صحابته – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين –

---

(1) – صحيح البخاري (٣٥٣٢)

(2) – تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (2/ 188)

ثم قال:

وبعـدُ فالعلـمُ لـم يظفـر بـه أحـدٌ *** إلاَّ سَمَـا وبأسبـاب العُلـى ظفـرَا

قوله: "يظفر" الظفر هو الفوز.

يقال: ظفر فلان بعدوه إذا غلب، وأظفره الله بعدوه، وظفره

وقديمًا قيل:

إذا مـا عـلا المـرئ رام العُـلا ويقنـع بالـدوني مـن كـان دونـا

يقول الله – سبحانه وتعالى –:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]

فأخبر الله – سبحانه وتعالى – بدرجات أهل العلم، وأهل الإيمان، والعلم هنا المذكور هو العلم الشرعي باتفاق أهل العلم، فالله – سبحانه وتعالى – جعل الرفعة لأهل العلم، وطلاب العلم، يقول يحيى بن يحيى عن مالك – رَحِمَهُ اللَّهُ –: –:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ [المجادلة: ١١]قال الصحابة.

–:﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]

قال: يرفع الله بها العالمَ والطالبَ للحق. ذكر ذلك القرطبي في تفسيره.

وقال القرطبي – رَحِمَهُ اللَّهُ – في تفسيره قوله – تعالى –:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]

قال: (أي: في الثواب في الآخرة، وفي الكرامة في الدنيا)[1].

فيُرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم.

(1) – تفسير القرطبي(543)

وقال ابن مسعود:(مدح الله العلماء في هذه الآية).

قال القرطبي: (والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات.

أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به).

فهنا المنصف في هذا البيت يوضح مكانة أهل العلم، ومنزلة أهل العلم، وطلاب العلم، الذين حازوا العلم.

ويكفي بالعلم شرفًا أن يعرفه المؤمن بأنه هذا العلم هو من علم الله – سبحانه وتعالى – الذي أنزله على رسوله – ﷺ –

فهذا يوضح لك شرف هذا العلم، وخصوصًا كما سيأتي في قوله – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

لا سيـــما أصـــل علـــم الـــدِّين إنّ بـــه *** سعـــادةَ العبـــد والمنْجَـــى إذا حُشـــرَا

يعني: لا سيما هذا العلم الذي نحن بصدد الكلام عليه وهو علم العقيدة.

قال الناظم:

لا سيـــما أصـــل علـــم الـــدِّين إنّ بـــه *** سعـــادةَ العبـــد والمنْجَـــى إذا حُشـــرَا

قول الناظم: "لا سيما" قال ابن فارس: و"السيء" المثل.

وقولهم: سيان أي: مثلان.

ومن ذلك قولهم: "لا سيما" أي: لا مثلما.

وقول الناظم: "أصل علم الدين" هو علم العقيدة.

وسُميَ أصلاً لأنه أول ما يطلب ويقصد، ولأن كل العلوم إنما تقصد لأجل تحقيق العقيدة التي أمر الله – سبحانه وتعالى – بها.

والعقيدة تقول في اللغة: عُقْدة كل شيء إبرامه.

وعقد فلان قلبه على الشيء إذا لم ينزع عنه.

قال ذلك الخليل بن أحمد.

فإذا قيل: عاقدته، أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق.

ويقال: عقد فلان اليمين إذا وكدها.

يقول الحطيئة:

أولئـك قـومي إن بنـوا أحسـنوا البنـاء وإن عاهـدوا أوفـوا وإن عاقـدوا شَـدّوا

فالعقيدة هي كل حكم لا يقبل الشك.

وفي الشرع: كل حكم أو خبر لا يقبل الشك، وأصله ما كان راجعًا إلى أركان الإيمان الستة ثم أنضاف إليها ما كان شعارًا لأهل السنة، أو مخالفًا لشعار أهل البدعة.

هذه المسألة هنا مسألة مهمة جدًّا ويجب أن تفهم وتعلم:

كثير من الناس قد يرى بعض المسائل المذكورة في كتب العقيدة، ويتصورها من جهة أنها مسائل ذكرت في كتب عقيدة أهل السنة وهي من مسائل الفقه.

فترى بعض أهل العلم يذكر على سبيل المثال: المسح على الخفين في كتب العقيدة.

وترى بعض أهل العلم قد يذكر مثلاً من مسائل العقيدة بعض المسائل المتعلقة بطاعة ولاة الأمر، وحكم الخروج عليهم، وتحريم ذلك، ونحو هذه المسائل، والجهاد تذكر في وأبواب العقيدة.

وذلك أن هذا الباب، وهذه المسائل هي ذكرت في باب الاعتقاد لأنها انضافت لأجل أنها من أعظم الشعارات التي جعلها الله – سبحانه وتعالى – لأهل الإيمان والحق.

لذلك ترى طوائف خالفت في مثل هذه المسائل وترى أن هنالك طوائف عارضت في مثل هذه المسائل، فصار ذكر هذه المسائل شعارًا لأهل السنة.

وهذه فائدة مهمة عضّوا عليها بالنواجذ.

قال: "والمنجى" يقول في لسان العرب: "نجا" "النجاء" الخلاص من الشيء.

قلتُ: ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

يقول الناظم: "إذا حُشرا" والحشرهو الجمع، والمحشر هو المجمع قال – تعالى –:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢]

يقول الطبري: (يقول – تعالى ذكره – لأول الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام).

وهذا البيت الذي ذكره الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – لما قال:

لا سيـــما أصـــل علـــم الـــدِّين إنّ بـــه *** سعـــادةَ العبـــد والمنْجَـــى إذا حُشـــرَا

يوضح هنا – رَحِمَهُ اللَّهُ – أن علم الاعتقاد تحصل به النجاة، وهنا – وليعذرني بعض الإخوة والأحبة – وخصوصًا في مثل هذه الأزمنة والأعصار المتأخرة التي حصل فيها نوع انشغال بالدنيا وشهواتها.

حصل هنالك ضعف ظاهر جدًّا في باب الاعتقاد وحصل هنالك تفلت في فهم كثير من المسائل الشرعية، حتى أنك تسأل بعض من هو منتسب لطلب العلم عن بعض المسائل العقدية المهمة التي هي من أعظم الشعارات لأهل السنة ترى أن فيه التخبط وقلة الفهم لكثير من المسائل.

علم الاعتقاد فيه نجاة وما فسدت أحوال هذه الأمة إلا بفساد الاعتقاد، بل كل فساد يدخل على هذه الأمة فمنشأه وأصله فساد الأعتقاد، ولا يمكن أن يصلح حال هذه الأمة إلا بأن يصلح اعتقاد الأمة؛ ولذلك النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما أرسل معاذ بن جبل – رضي الله عنه – إلى اليمن، قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه – إلى ماذا؟ – «إلى أن يوحدوا الله»[1]

وفي لفظ قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[2]

---

(1) – صحيح البخاري(7372)

(2) –جامع الرسائل (١/ ١٥)

فهذا الأصل الذي يبدأ به، ولذلك النبي –ﷺ– لما بدأ في العمرة في السعي قال: «أبدأ بما بدأ الله به»[1].

جعلها شعار، وجعلها قاعدة، وجعلها مسلكًا يجب أن يسلك بأن كل ما بدأ الله – سبحانه وتعالى – به فهو الذي يقدم وهو الذي يجب أن يبدأ به قبل غيره، قال: «أبدأ بما بدأ الله به»

الله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]

فبدأ الله – سبحانه وتعالى – بالصفا، فبدأ النبي –ﷺ– بالسعي في الصفا، وهذه قاعدة شرعية في كل ما قدمته الشريعة فيجب أن يقدم، وكل ما أخرته الشرعية فيجب أن يؤخر، ومما قدمته الشريعة قبل كل شيء، وفوق كل شيء علم الاعتقاد.

(1) -صحيح مسلم (١٢١٨)

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات

وأولُ الفــرض إيــمانُ الفــؤاد كــذا *** نُطـقُ اللِّسـانِ بمـا في الـذِّكر قـد سُـطرَا
أنَّ الإلـــهَ إلـــهٌ واحـــدٌ صَمـــد *** فــلا إلــه ســوى مَــن للأنــام بــرَا
ربُّ الســموات والأرضــين لــيس لنــا *** ربٌّ ســواه تعــالى مَــن لنــا فطــرَا
وأنــهُ موجــدُ الأشيــاء أجمعهــا *** بــلا شريــك ولا عــَونْ ولا وُزرَا
وهــو المــُنزه عــن ولــد وصــاحبة *** ووالــد وعــن الأشبــاه والنُّظــرَا

الشرح:

ابتدأ – رَحِمَهُ اللَّهُ – في ذكر هذا الباب وقال:

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات

وهذا الباب هو بلفظه مذكور في كتاب الرسالة لابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ ورحمنا وإياكم والناظم وجميع المسلمين:

أي: هذا باب في بيان ما تعتقده القلوب وتنطق به الألسن، هذا باب في بيان ما تعتقده القلوب، وبيان ما تنطلق به الألسن من واجب من أمور الديانات.

ومراده بواجب أمور الديانات هنا ما هو راجع إلى الاعتقاد؛ لأنه قال: ما تعتقده القلوب.

فيريد هنا بذكر "واجب أمور الديانات" من الاعتقادات وما تنطق به الألسن من ذلك.

قال:

وأولُ الفــرض إيــمانُ الفــؤاد كــذا *** نُطـقُ اللِّسـانِ بمـا في الـذِّكر قـد سُـطرَا

"الفرض": هو الإيجاب.

والفرض ما أوجبه الله – جلَّ وعز – قال – تعالى –: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [النور: ١]

يقول ابن سيده: (فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمناكم العمل بما فرض فيها).

وقول الناظم: "إيمان" الإيمان لغة هو التصديق مع الإقرار والانقياد.

وهذا أقرب ما قيل في معنى الإيمان وأصح، وأدق ما قيل في معنى الإيمان أنه التصديق مع الإقرار والانقياد.

وأما تفسيره بمطلق التصديق ففيه نظر عند جمع من أهل العلم، وفي ذلك تفصيل يطول، لكن في الجملة نقول: أن معنى الإيمان هو التصديق الذي يشتمل على أمر زائد هو الإقرار والانقياد.

وأما في الشرع فالإيمان هو: التصديق وإقرار القلب واللسان والجوارح.

يقول العلامة الطبري – رَحِمَهُ اللَّهُ – في تفسيره:(والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديقِ الإقرار بالفعل.قال: وتصديقِ الإقرار بالفعل.وقال أيضًا: الإيمان التصديق والإقرار).

وسيأتي تفصيل ذلك في موضع آخر إن شاء الله من هذا النظم.

قوله: "في الذكر" الذكر هنا القرآن كما ذكر ذلك ابن أبي زمنين.

وقال الطبري – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أو ذكر الطبري – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

أن الله – سبحانه وتعالى – سمَّ التنزيل الذي أنزله على محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأربعة أسماء:

فسماه القرآن، وسماه الفرقان، وسماه الكتاب، وسماه الذكر.

الله – سبحانه وتعالى – سمَّ التنزيل الذي أنزله على محمد – صلوات الله وسلامه عليه – بأربعة اسماء:

فسماه القرآن، وسماه الفرقان، وسماه الكتاب، وسماه الذكر.

وقوله: "قد سُطِر" أي كُتب.

قال – تعالى –: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾ [الطور: ٢]

قال مجاهد وقتادة: يعني مصحفا مكتوبًا.

يقول الشاعر:

واعلـم بـأن ذي الجـلال قـد قـدر في *** الصـحف الأولـى التي كـان سـطر

قال في الإيمان: "أول الفرض"

وهذا مأخوذ من حديث النبي – ﷺ – لمعاذ حين بعثه لليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[1].

وأول ما دعا إليه الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – التوحيد والإيمان بالله – تعالى – وهو أعظم ما يجب على العباد، وأول ما يقصد ويطلب من الخلق ومن العباد؛ ولذلك كان هو الذي لأجله خلق الله – سبحانه وتعالى – الخلق، يقول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وهذا هو الذي لأجله بعث الله – سبحانه وتعالى – الرسل.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقال الربيع بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ – في قوله – تعالى –: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

قال: (ما خلقتُكم عبثًا، ولكن خلقتكم للعبادة)[2].

---

(1)-صحيح البخاري(1496)

(2) – وهذا إسناده حسن في تفسير ابن أبي حاتم

ومن تدبر كتاب الله – سبحانه وتعالى – وجد أن الله – سبحانه وتعالى – يذكر في مواضع كثيرة الإيمان في مقابل الكفر، كقوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [غافر: ١٠]

فعلم من ذلك أن الإيمان هو أعظم وأول ما يقصد، وهنا نقول: دع عنك من يقول: أول واجب على الخلق هو النظر والاستدلال؛ فإن هذا القول يترتب عليه مفاسد عظيمة ولولا ضيق الوقت لاسهبنا في ذكرها.

النبي – ﷺ – كان يقبل من العباد مجرد الإقرار بالشهادة لدخولهم في الإسلام.

يقول العلامة ابن المنذر في كتابه "الإجماع":(وأجمع كل من نحفظ عنه: أن الكافر إذا قال: "لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله" ولم يزد على ذلك شيئًا أنه مسلم)[1].

يكفي في ذلك شهادة "أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله"

أهل الكلام فكثير منهم يقول: أول واجب هو النظر والاستدلال.

فيوجبون على الإنسان النظر والاستدلال قبل أن يشهد "أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله" ولذلك كانت قاعدة أهل السنة: الاستدلال ثم الاعتقاد".

وكانت قاعدة أهل البدعة: "الاعتقاد ثم الاستدلال".

ولذلك كان مذهب سلف هذه الأمة أسلم وأحكم.

والتوحيد الذي جاء به رسول الله – ﷺ – وجاء به سائر الأنبياء هو الذي يدخل به العبد للإسلام ولذلك سئل المزني – رحمه الله – صاحب الشافعي عن الكلام فقال:إني أكره هذا ..

(1) – الإجماع لابن المنذر(76)

لما سئل عن الشافعي، سئل عن الكلام المزني قال:سمعتُ الشافعي يقول:

يعني سئل المزني – رَحِمَهُ اللَّهُ– عن الكلام فقال:إن أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، ولقد سمعت الشافعي يقول: سئل الإمام مالك عن الكلام والتوحيد؟

فقال – رَحِمَهُ اللَّهُ– يعني: مالك – (محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي – ﷺ–: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: "لا إله إلا الله" فإذا قالوها عصموا مني دمماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» فما عُصِم به المال والدم فهو التوحيد)[1]. انتهى كلامه – رَحِمَهُ اللَّهُ–

ذكر ذلك المقر في ذم الكلام.

قال:

أنَّ الإلـــهَ إلـــهٌ واحـــدٌ صَمـــد *** فـــلا إلـــه ســـوى مَـــن للأنـــام بـــرَا

قوله: "الإله" هو المعبود المطاع.

وفي الصحاح: والتأليه التعبيد. والتأله التنسك والتعبد.

وقال ابن فارس في مجمل اللغة: أله إلهة كعبد عبادة.

والمتأله المتعبد.

وبذلك سُمي الإله، وكان ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– يقرأ ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

أي: عبادتك.

وكان يقول: إن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد. انتهى كلامه.

(1) – الإمام مالك «ذمُّ الكلام» للرازي (250)

قال رُؤبه:(لله درُّ الغانيات المُدَّهي سبَّحن واسترجعن من تأله المُدَّه)

المُدَّه يعني: المدح بالحاء المدح من المدح.

قوله: "واحد" أي: لا شريك له، فهو واحد في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

والتوحيد لغة: مصدر من قول القائل وحَّد الشيء وأحَّده يوحده توحيدًا إذا جعله واحدًا.

فالله – سبحانه وتعالى – الأوحد المتوحد.

وفي الشرع التوحيد هو: إفراد الله – تعالى – بخصائصه.

ومن أهل العلم من يقول: إفراد الله – تعالى – بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد ألوهية: وهو إفراد الله – تعالى – بالعبادة.

وتوحيد ربوبية: وهو إفراد الله – تعالى – بالخلق والملك والتدبير.

ومن أهل العلم من يقول: إفراد الله – تعالى – بأفعاله.

والثالث هو توحيد الأسماء والصفات وهو: إفراد الله – سبحانه وتعالى – بأسمائه وصفاته من غير تمثيل أو تعطيل أو تحريف أو تكييف.

فيكون إثباتًا من غير تمثيل، وتنزيهًا من غير تعطيل.

يكون إثباتًا للصفات والأسماء الواردة في الكتاب والسنة من غير تمثيل لها بالخلق، ويكون تنزيهًا لله – سبحانه وتعالى – عن النقائص من غير تعطيل أي: إفراغ لتلك الأسماء والصفات من معانيها.

وسيأتي الكلام على ذلك.

ولذلك كانت طريقة أهل السنة إثبات الأسماء والصفات لله – تعالى – مع اعتقاد عدم وجود المثيل لله – تبارك وتعالى – وينزهون الله – سبحانه وتعالى – من كل نقيصة، من غير تعطيل لأسمائه وصفاته – تبارك وتعالى – فلابد من إثبات، ولابد من تنزيه.

ويجب في الإثبات أن لا يكون معه تمثيل، ويجب في التنزيه أن لا يكون معه تعطيل.

وسيأتي مزيد بيان بحول الله – سبحانه وتعالى –

لذلك المراد بالإثبات تسمية الله– سبحانه وتعالى – بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله – ﷺ –

ووصف الله – سبحانه وتعالى – بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم –

قوله: "الصمد" هو السيد الذي انتهى سُؤدِده.

كما فسره ابن مسعود – رضي الله عنه– وقال ابن عباس:(يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم، ومسائلهم).

وقال غيره: هو الذي لا جوف له.

وقيل: هو الذي لا يطعم. يعني: لا يأكل.

وقيل: هو الذي لا يخرج منه شيء.

وهي معاني كلها متقاربة دالة على معنى عظيم وهو عظم شأنه – سبحانه – وغناه عن جميع خلقه، وكماله في عدم افتقاره – سبحانه وتعالى – إلى شيء من الخلق، ومن ذلك الطعام، والشراب والله أعلم.

قوله: "الأنام" قال أبو هلال العسكري:

الأنام على ما قال بعض العلماء يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس.

وقال الخليل: (الأنام ما ظَهَرَ على الأرض، أو ما على ظهْرِ الأرض من جميع الخلق).

وقال الأزدي: (وقال الكوفيون واحد الأنام: "نيم").

وقوله: "برى" أي: برأ.

يقول الخليل: (البرأ مهموز الخلق).

برأ الله الخلق فهو يبرأهم.

برأ فهو الخالق لهم – سبحانه –

والمعنى هنا أن الله – سبحانه وتعالى – هو – سبحانه وتعالى – خالق الخلق، ولا إله لله إلا من خلقهم، ولذلك قال: "ولا إله للخلق سوى من للأنام برأ"

أي: لا إله غيره.

فلا إله مستحق لأن يعبد إلا الله.

ومعنى قول القائل: "لا إله إلا الله" أي: لا معبود بحق إلا الله.

وكل ما عُبِد من دون الله – سبحانه وتعالى – فهو باطل، هنا أن تثبت الألوهية لله، وتنفي استحقاق تلك الألوهية عن غير الله – سبحانه وتعالى –

يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠]

قال الله – سبحانه وتعالى – في الأية الأخرى: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]

وسمَّ الله – سبحانه وتعالى – نفسه الحق في عدة آيات، وفي الحديث الصحيح: «أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق»[1]

فالله – سبحانه وتعالى – الإله المستحق لأن يُعبد، وكل ما عُبِد مما سواه فهو معبود باطل، وقد أرسل الله – سبحانه وتعالى – جميع الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – لأجل تبليغ الناس هذا الأصل العظيم.

وقول القائل: "لا إله" هذا متضمن معنى النفي لكل إله.

ولكن دخل عليه الاستثناء في قول القائل "إلا الله" والذي أفاد استثناء الله – سبحانه وتعالى – من هذا النفي.

---

(1) – صحيح الأدب المفرد (537)

والقاعدة: المستثنى خارج من المستثنى منه وحكمه.

فيكون للمستثنى حكمًا مغايرًا لحكم المستثنى منه، فحكم المستثنى منه البطلان، وهي كل ما يعبد من دون الله – سبحانه وتعالى –

والمستثنى في قولنا: "إلا الله" هو الله – سبحانه وتعالى جل جلاله – وهو حق.

فالمستثنى منه تلك الآلهة الباطلة، والمستثنى هو الله – جلَّ جلاله – وهو الحق.

قول الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

ربُّ السموات والأرضين ليس لنا *** ربٌّ سواه تعالى مَن لنا فطرَا

وأنهُ موجدُ الأشياء أجمعها *** بلا شريك ولا عَونْ ولا وُزرَا

قوله: "رب" الرب لغة قال الطبري: فربنا – جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه.

ومالك الذي له الخلق والأمر، والرب يطلق على السيد المطاع، ويطلق على المال، ويطلق على المتصرف لمدبر، ويطلق على المصلح لغيره، وهذا الاسم "الرب" لا يطلق بغير إضافة إلا لله – عز وجل – والله – سبحانه وتعالى – رب كل شيء، ومالكه وخالقه، والمتصرف فيه.

وقول الناظم: " الأرضين" جمع أرض.

قال – تعالى –: ﴿ خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]

أخرج أحمد والبخاري في الأدب أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «إن نبي الله نوحًا – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: "آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت

بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله»[1]

وعن سعيد بن زيد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أراضين»[2] متفق عليه.

وقال عبد الله بن مسعود:«خلق الله سبع سماوات غلظ كل واحدة مسيرة سبعمائة عام، وبين كل واحدة منهنَّ خمسمائة عام، وفوق السبع السماوات الماء، والله – جل ثناؤه – فوق الماء، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، والأرض سبع بين كل أرضين خمسمائة عام، وغلظ كل أرض خمسمائة عام»[3] أخرجه الطبري في تفسيره.

يقول ابن عطية: لا خلاف بين العلماء أن السماوات سبع، لأن الله قال:

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [نوح: ١٥]

وقد فسره رسول الله – ﷺ – في حديث الإسراء، وقال لسعد: «حكمت بحكم الملك من فوق سبعة سموات»[4].

ونطقت بذلك الشريعة، بغير ما موضع.

وأما الأرض فالجمهور على: أنها سبع أراضين، وهو ظاهر الآية، وأن المماثلة إنما هي في العدد.

---

(1) – صحيح الأدب المفرد(٤٢٦)

(2) – صحيح البخاري(٣١٩٨)

(3) – فتح القدير (١/ ٩٠)

(4) – مختصر العلو(١٥)

وذكر الحديث عن النبي –ﷺ–: «من غصب شبراً من أرض طوقه من سبع أراضين»[1]

قول الناظم: "فطرا"

الفطر كما قال الخليل: فطر الله الخلق أي: خلقهم.

وابتدأ صنعة الأشياء وهو قاطر السماوات والأرض، فهي تطلق على ابتداء الشيء أيضا.

نقول: فطر فلان الشيء إذا ابتدأه.

والله – سبحانه وتعالى – هو الخالق لجميع من في الكون، وفي الوجود، – سبحانه وتعالى – وهو خالق الأشياء دون حاجة إلى من يعينه.

قال:

وهـــو المـــُنزه عـــن ولـــد وصـــاحبة *** ووالـــد وعـــن الأشبـــاه والنُّظـــرَا

"المنزه" قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وأصل التنزيه البعد مما فيه الأنجاس، والقرب إلى ما فيه الطهارة والبراءة.

وقال الأزدي: النزه ظلف النفس عن المدانس، يقال: فلان نَزِهَ النفس، ونازِه النفس، والمصدر النزاهة.

وتنزه القوم إذا بعدوا من الريف إلى البدو.

قوله: "وُلد" هو بضم الواو، وكون اللام جمع ولد، يقال: وِلْدٌ بكسر الواو، و"وُلْد" بضمها.

وقوله: "صاحبة" أي: زوجة.

---

(1) – البدر المنير ٦(/ ٧٦١)

يقول – سبحانه وتعالى –: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ ﴾

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ ﴾ [الجن: ٣]

الأشباه التشبيه يراد به هنا التمثيل، والتمثيل هو مشابهة من كل وجه، والله – سبحانه وتعالى – قد قال في كتابه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١]

وقال – سبحانه وتعالى –:﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٤]

والقاعدة العظيمة في هذا الباب أن الله – تبارك وتعالى – يوصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله – ﷺ – من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف.

التمثيل في اللغة: إثبات المماثلة بين شيئين، ولذلك سمي الند والنظير سمي بالمثيل، وفي الشرع: التمثيل" إثبات المماثلة بين الله – تعالى – وبين خلقه من كل وجه في صفة من الصفات.

وهنا فائدة: نفي التمثيل أولى من نفي التشبيه.

وذلك أن هنالك ثمة فرق بينهما، الله – سبحانه وتعالى – له صفات وله أسماء.

وأهل السنة يثبتون تلك الأسماء والصفات لله – سبحانه وتعالى – ومن أسمائه – سبحانه وتعالى – السميع، البصير، القدير، الحكيم، الخبير إلى آخره.

فيثبون هذه الأسماء لله – سبحانه وتعالى – وكذلك يثبتون لله – سبحانه وتعالى – الصفات التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله – ﷺ – كما أثبت الله – سبحانه وتعالى – لنفسه صفة الكرم، صفة الخلق، صفة الرزق، صفة الكلام إلى آخره، يثبتون تلك الصفات.

لكن أهل السنة لا يشبهون صفات الله – سبحانه وتعالى – بصفات المخلوقين، ولا يجعلون شيئًا من صفات الله – تعالى – كصفات المخلوقين، لكن قد يقول قائل هنا: الله – سبحانه وتعالى – موصوف بالكرم، والمخلوق قد يوصف بالكرم.

الله – سبحانه وتعالى – قد يوصف بالحلم، والمخلوق قد يوصف بالحلم.

الله – سبحانه وتعالى – قد يوصف بكذا.. فهنالك صفات لله – سبحانه وتعالى – يوصف بها أو اتصف بها – سبحانه – وتصلح أن يوصف بها المخلوقين.

هذا يسمى تشابهًا من وجه، لكن لا يسمى مماثلة، لأنه لا يمكن أن يكون كرم المخلوق مثل كرم الله – سبحانه وتعالى – ولا يمكن أن يكون المخلوق في حلمه كحلم الله – سبحانه وتعالى – ولا يمكن أن يكون المخلوق في وصف من الصفات كربه – تبارك وتعالى –

والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فهذا المجلس الثاني من مجالس هذه الدورة العلمية المباركة، أعني اليوم الثاني من أيام هذه الدورة المباركة دورة الإمام مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ – الثامنة، وهو المجلس الثاني في شرح "نظم مقدمة ابن أبي زيد القيرواني" للعلامة أحمد بن مُشَرَّف الأحسائي – رحمه الله رحمة واسعة –

وكما ذكرنا أن ابن مُشَرَّف – رَحِمَهُ اللَّهُ – قد نظم هذه القصيدة وجمع فيها ما ذكره العلامة ابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ – في مقدمة كتابه "الرسالة".

وكنا قد وصلنا إلى ما قاله المصنف أو الناظم في قوله – رَحِمَهُ اللَّهُ –

المنزه عن وُلْد وصاحبة ووالد وعن الأشباه والنظرا

فنقول: ذكرنا معنى التنزيه، وأنه في معنى البعد لما فيه الأدناس والقرب إلى ما فيه الطهارة والبراءة.

والوُلد كما قال أهل العلم هو: جمع ولد، بضم الواو، وسكون اللام "وُلْد" هي جمع ولد، ويقال أيضًا: "وِلْدٌ" بكسر الواو وسكون اللام.

وقوله: "صاحبة" أي: زوجة قال الله – تعالى –: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ [الأنعام: ١٠١]

وقال – سبحانه –: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ ﴾ [الجن: ٣]

وقوله: "الأشباه" المراد به بالمشابهة كل ما كان فيه مماثلة في الغالب.

ولذلك هنالك ثَمَّة فرق بين المشابهة والمماثلة، فالمشابهة هي مماثلة في الغالب، أي: في غالب الصفات.

وأما المماثلة في مشابهة من كل وجه، أو مماثلة من كل وجه، ومطابقة من كل وجه.

ولذلك قال أهل العلم: التشبيه يراد به هنا التمثيل، وإذا أطلق أهل العلم لفظ التشبيه في كتب العقائد فإنما يريدون به التمثيل.

والتمثيل كما ذكرنا هو المطابقة من كل وجه، من جميع الوجوه، والله – سبحانه وتعالى – قد نفى عن نفسه وجود المثيل فقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]

وقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤]

والقاعدة العظيمة في هذا الباب:

أن الله – تبارك وتعالى – يوصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – مع الأخذ في الاعتبار بترك المحاذير الأربع، وهي:

التمثيل والتكييف، والتعطيل، والتحريف.

هذه أربعة محاذير يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وأن تترك في باب الأسماء والصفات، وفي باب الصفات خصوصًا.

الله – سبحانه وتعالى – يقول في كتابه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠]

فالله – سبحانه وتعالى – تسمى بالأسماء الحسنى، والصفات العُلا، وكل أسمائه – سبحانه وتعالى – تدل على كماله – سبحانه – ولا يلحقه ﷻ في شيء منها أي نقص، ولذلك تتلو هنا القاعدة الأخرى، وهي:

أن الله – تبارك وتعالى – ينفى عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله – ﷺ – فكل ما نفاه الله – سبحانه وتعالى – عن نفسه أو نفاه عنه رسوله – ﷺ – فهو من النقص الذي أوجب الله – سبحانه وتعالى – على العباد تركه لاستلزامه للعيب لله – تبارك وتعالى – والنقص له.

فإذا ورد لفظ أو وصف في الكتاب أو في السنة منفي كان الواجب نفيه، وإذا ورد لفظ مثبت كان الواجب إثباته، وإذا ورد لفظ أو وصف ليس في الكتاب ولا في السنة كان الواجب التوقف فيه حتى يتبين معناه، فإن كان حقًّا قُبِلَ المعنى، وإن كان باطلاً رُدَّ المعنى، يقول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وهذا يفيد وجوب التوقف فيما لا يُعلم معناه، وما لا تعرف حقيقته.

وذكرنا نحن هنا المحاذير الأربعة وهذه المحاذير الأربعة نوضحها فيما يأتي إجمالاً والتفصيل فيها يطول: فذكرنا التمثيل وذكرنا التعطيل، وذكرنا كذلك التكييف، وذكرنا كذلك التحريف.

فأولى تلك المحاذير التمثيل، والتمثيل لغة هو إثبات المطابقة بين شيئين ولذلك سُمِّيَ النِّدُّ والنظير بالمثيل، وهو في الشرع إثبات المطابقة والمماثلة بين الله – تعالى – وخلقه من كل الوجوه في صفة من الصفات.

انتبه؛ يقول: هو في الشرع إثبات المطابقة والمماثلة بين الله – تبارك وتعالى – وخلق من مخلوقاته من كل الوجوه في صفة من الصفات.

فتقول مثلاً: عِلم الله مثل علمي، وكلامه مثل كلامي، وسمعه مثل سمعي، ونحو ذلك من الألفاظ المنكرة التي لا يجوز أن تذكر، فهذه من المحاذير التي يجب أن تتوقَّ.

وهنا فائدة مهمة: ذكرنا أنه إذا ورد ذكر تشبيه في كلام أهل العلم فإنما يراد به التمثيل، والتشبيه، أهل العلم تجد في كتب كثير من أهل العلم أنهم يقولون: بلا تشبيه.

أو ينفون التشبيه في صفات الله – سبحانه وتعالى – تشبيه الصفات بشيء من خلقه، لكن استعمال التمثيل لفظ "التمثيل" أولى من استعمال لفظ "التشبيه" وذلك أن ثَمَّ فرقًا بين "التمثيل" و"التشبيه".

فـ"التمثيل" إثبات مساواة بين شيئين من كل الوجوه.

وأما "التشبيه" فهو إثبات مساواة من بعض الوجوه أو أكثرها.

وأما "التشبيه" فهو إثبات مساواة بين شيئين من بعض الوجوه أو أكثرها.

ولذلك كان استعمال "التمثيل" أولى من استعمال "التشبيه" لأن الله – سبحانه وتعالى – يوصف بالكرم، والمخلوق يوصف بالكرم، الله – سبحانه وتعالى – يوصف بالرحمة، والمخلوق قد يوصف بالرحمة، والله – سبحانه وتعالى – يوصف بالعلم، والمخلوق قد يوصف بعلم، لكن علم الله – تبارك وتعالى – ليس كعلم المخلوقين، وكرم الله – سبحانه وتعالى – ليس ككرم المخلوقين، إلى آخره.

ولذلك هذا يسمى نوع اشتراك سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى ولكن استعمال لفظ "التمثيل" أولى لأن المنفي في كتاب الله – تبارك وتعالى – هو التمثيل لا التشبيه، وهو المساواة من كل الوجوه.

و"التكييف" هو المحذور الثاني، فهو لغة وشرعًا: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن تقييد بمماثل.

"التكييف" جعل الشيء على حقيقة معينة من غير تقييدها بمماثل.

وإن شئت قلت: هو حكاية كيفية الصفة.

و"التكييف" هو تمثيل لكنه غير مقيد بمماثل.

انتبه: "التكييف" هو نوع تمثيل، إذًا: هنالك شبه بين التكييف والتمثيل.

فالكييف هو تمثيل لكنه من غير تقييد بمماثل، لا تعين مماثلاً في هذا فلم تقيد ذلك بمخلوق معين أو موصف معين.

ولذلك نقول: كل تمثيل فهو تكييف، ومثاله أن يقول القائل: صفة وجه الله – تبارك وتعالى – على صفة كذا.

أو على صورة كذا دون أن يقيدها بمماثل معين، وعليه يكون الفرق بين التكييف والتمثيل: أن التكييف هو حكاية الصفة من غير تقييد بمماثل.

والتمثيل هو حكاية الصفة مع تقييد بمماثل؛ هذا التمثيل.

وكذلك نقول: إن التكييف مختص بالصفات، والتمثيل يكون في الصفات والقدر والذات.

وهنالك تفاصيل كثيرة الخوض فيها يخرجنا عن المقصود.

وهنا تأتي قضية كبرى وهي:

أن صفات الله – تبارك وتعالى – كلها لها كيفية؛ لكن لا أحد يعلم تلك الكيفية، فصفاته – سبحانه وتعالى – لها كيفية، لا تدركها المخلوقات وهو من العلم الذي استفرد الله – سبحانه وتعالى – واختص به – سبحانه – واستأثر به، فلم يطلعه على، أو فلم يطلع أحدًا من خلقه عليه، فاستأثر الله – سبحانه وتعالى – بهذا العلم.

فنقول: أهل السنة يثبتون كيفية لصفات الله – تبارك وتعالى – ولكنهم ينفون معرفتهم بتلك الكيفية، ولا تشرئب أعناقهم إلى البحث في معرفة تلك الكيفية.

فإن قيل: فما معنى قول أهل السنة: "أنهم يثبتون الصفات من غير تكييف"؟!

فيقال: الجواب هنا: "أن المراد أنهم يثبتون الصفات من غير حكاية التكييف".

بل يثبتون الصفات ويثبتون كيفية لها، ويقولون: نعلم معاني الصفات لكننا لا نعلم كيفيتها.

يقول الخطابي – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

فإن قيل كيف يصحُّ الإيمان بما لا نحيط علمًا بحقيقته، أو كيف يتعاطى وصفه – تعالى – بشيء لا درك له في عقولنا؟!

قيل له: إن إيماننا صحيح بحق ما كلفناه منها، وعلمنا محيط بأمر الذي ألزمناه فيها، وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة ولا كيفية.

وقد أُمِرنا أن نؤمن بالله وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والجنة ونعيمها، والنار وأليم عقابها، ومعلوم أنّا لا نحيط علمًا بكل شيء منها على التفصيل، وإنما كلفنا بالإيمان بها جملة. انتهى كلامه.

ولذلك هذا معنى قول السلف – عليهم رحمة الله تعالى – أمروها كما جاءت بلا كيف.

أي: أمروا نصوص الصفات كما جاءت عن الله – تعالى – وعن رسوله – ﷺ – بالمعنى الذي جاءت بها على ظاهره.

وقولهم: "بلا كيف" يعني: بلا خوض وبحث في الكيفية، لا أن المراد أنها ليس لها كيفية.

ولذلك الإمام مالك لما سئل – رَحِمَهُ اللَّهُ – عن قوله – تعالى –:

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –:(الاستواء معلوم، والكيف مجهول...)

فأثبت الاستواء، وأثبت الكيفية، وأثبت عدم العلم بالكيفية.

قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

المحذور الثالث هو التعطيل.

و"التعطيل" أصل صحيح كما قال في المقاييس، مقاييس اللغة: يدل على خلو وفراغ.

تقول: عطلت الدار، ودار معطلة، وما ترك الإبل بلا راعٍ فقد عُطِّلت.

وكذلك البئر إذا لم تورد، ولم يُسْتقى منها، قال الله – تبارك وتعالى –:

﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]

وقال – تعالى –: ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ٤]

وكل شيء خلا من حافظ فقد عُطل ومن ذلك: تعطيل الثغور وما أشبهها.

ولذلك "التعطيل شرعًا" نفي الاسماء والصفات التي أثبتها الله – تعالى – لنفسه أو أثبتها رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أو نفي معانيها، إما أن ينفى الاسم، أو تنفى الصفة، أو ينفى معنى الاسم أو معنى الصفة.

كقول القائل: إن الله لا علم له، مع أنه يقرأ قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣]

ويقول: إن الله لا قدرة له، وهو يقرأ قول الله – تبارك وتعالى –:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠]

ويقول: إن الله لا سمع له، ولا بصر له، وهو يقرأ قول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]

ونحو ذلك من الأقوال المنكرة.

والحاصل هنا: أن ما عليه أهل السنة هو الوسط بين التمثيل والتعطيل.

المحذور الرابع وهو "التحريف": ولغة هو العدول عن الشيء والميل عنه، ويطلق كذلك على التغيير.

قال الخليل: تحرَّف فلان عن فلان، وانحرَّف، واحرورفَ واحد أي: مال.

وفيه قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]

وقال:﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[البقرة: ٧٥]

والتحريف الواقع في نصوص الشرع يكون إما بتحريف اللفظ أو بتحريف المعنى، فتحريف اللفظ يكون بتغيير يحصل في اللفظ بنصب أو جرٍّ أو صرف أو حرف أو نحو ذلك.

وتحريف المعنى يكون بإثبات معنىً مغاير للمعنى الذي دلَّ عليه ظاهر اللفظ.

اتبه: هنالك نوعان من التحريف:

تحريف في اللفظ.

وتحريف في المعنى.

فالتحريف في اللفظ يكون تغييرًا في نصب أو جرٍّ أو رفع أو صرف أو تغيير في حرف.

وأما التغيير في المعنى هو صرف المعنى عن الظاهر الذي يظهر منه ذلك المعنى من غير مسوغ صحيح.

ولذلك هنا نقول: كل من ادعى صرف لفظ عن ظاهر معناه فإنه يطالب بأربعة أمور، نختصرها بما يلي:

الأول: إقامة الدليل الصارف عن المعنى الظاهر إلى معنى غيره.

والثاني: بيان احتمال اللفظ للمعنى المذكور.

الأول قلنا: إقامة الدليل الصارف عن المعنى الظاهر إلى المعنى الآخر.

والثاني: بيان احتمال اللفظ للمعنى المذكور.

والثالث: احتمال ذلك اللفظ لذلك المعنى في ذلك السياق.

فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص، فيكون اللفظ محتملاً لذلك المعنى في هذا السياق.

كما هو الكلام في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]

الرابع هو: ذكر القرينة الدالة على صرف المعنى عن ظاهره.

وانظر في ذلك كلام العلامة ابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "الصواعق".

ولذلك أجمع أهل السنة على أنه من المحال القطعي أن يكون رسول الله – ﷺ – قد ترك باب الإيمان بالله – تبارك وتعالى – والعلم به ملتبسًا، مشتبهًا، وقد قال – ﷺ –: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[1] أخرجه أحمد وابن ماجه.

ومما علَّمه – ﷺ – لأمته علم الاعتقاد، وهذا واجب أن يعتقد في النبي – ﷺ – أنه ما ترك شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا وعلمهم إياه، ولا يجوز أن تعتقد غير ذلك في رسول الله – ﷺ – وأن لا يجوز كذلك أن يعتقد أن ثمة أمور يحتاج إليها الناس ولم يبينها رسول الله – ﷺ –

يقول ابن عطية في تفسيره في قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]

قال: هذه الآية أمر من الله لرسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لأنه قد كان بلغ وإنما أمر في هذه الآية لأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد.

---

(1) – أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٢).

قال الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –

لا يبلغــن كُنْــه وصــفُ الله واصــفُ *** ولا يحيــط بــه علــمًا مَــن افتكــرَا
وأنــــَّه أوَّل بـــاق فليـــس لـــه *** بــدءٌ ولا منتهــى سبحــان مــن قــدرَا
حــيٌّ عليــمٌ قديــرٌ والكــلام لــه *** فــردٌ سميــعٌ بصــيرٌ مــا أراد جــرَى
وأنَّ كرسيــَّه والعــرش قــد وسعــَا *** كــلَّ السمــوات والأرضــين إذ كــبرَا
ولــم يــزل فــوق ذاك العــرش خالقُنــا *** بذاتــه فاســأل الوحــيين والفــطرَا
إنَّ العــلوَّ بــه الأخبــارُ قــد وردتْ *** عــن الرَّســول فتــابِع مَــن رَوى وقــرَا
فالله حقًّا على المُلك احتوى وعلى الـ *** ـعرش استوى وعن التكييف كُن حَذِرَا
والله بالعلــمِ في كــلِّ الأماكــن لا *** يخفــاه شــيءٌ سميــعٌ شــاهدٌ ويــرَى
وأنَّ أوصافَــه لــيس بمُحدَثــة *** كــذاك أسمــاؤه الحُسـنى لِمَــن ذكــرَا
وأن تنْزيلَــه القــرآنَ أجمعَــه *** كلامُــه غيــرُ خلــق أعجــز البشــرَا
وحْــيٌ تكلّــَم مولانــا القــديمُ بــه *** ولــم يــزل مــن صفــات الله مُعْتــبرَا

الشرح:

ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – في هذه الأبيات مجموعة من المسائل المهمة:

أولها: قوله:

لا يبلغــن كُنْــه وصــفُ الله واصــفُ *** ولا يحيــط بــه علــمًا مَــن افتكــرَا
وأنــــَّه أوَّل بـــاق فليـــس لـــه *** بــدءٌ ولا منتهــى سبحــان مــن قــدرَا

"الكنه" غاية الشيء كما قاله الحربي.

وفي الحديث الصحيح: «من قتل معاهدًا بغير كُنهه حرَّم الله عليه الجنة»[1]

(1)-صحيح أبي داود(2760)

أي: في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

يقول الشاعر:

وإنَّ كـــلامَ المَـــرْءِ في غيـــر كُنْهِـــه *** لَكالنَبْـــلِ تَهْـــوِي لـــيس فيهـــا نِصـــالُها

ويطلق كذلك على حقيقة الشيء وكيفيته كما قال غير واحد من أهل العلم، وزعم بعضهم أنه مولد.

قوله: "ولا يحيط به" يقول: أحاط به إذا دار عليه من كل جوانبه.

ومنه: سُمِّيَ الحائط.

وأحاط فلان بالشيء إذا أخذه من كل جوانبه.

فالإحاطة المعرفة بالشيء من كل جوانبه.

قوله: "من افتكرا" قال الجوهري التفكر التأمل.

وقال ابن سيدة: الفَكر، الفِكر إعمال الخاطر في الشيء.

قال الله – سبحانه –: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ ﴾ [الروم: ٨]

وقول المصنف: "وأنه الأول" قال – سبحانه وتعالى – عن نفسه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣]

يقول ابن جزي المالكي – رَحِمَهُ اللَّهُ – أي: ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية.

في الصحيح، في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»[1]

وقوله: "باقٍ" هو بمعنى الآخر.

وليس الباقي من أسماء الله – تبارك وتعالى – على الأصح خلافًا لما ذكره البيهقي وابن منده – عليهما رحمة الله تعالى –

بل البقاء صفة من صفات الله – عز وجل – قال الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧]

ويقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٧٣]

وهذان البيتان في ذكر معنى الإحاطة من الله – تبارك وتعالى – بخلقه، فإذا علمت هذا استبان لك أنَّ الله – تبارك وتعالى – لا يمكن أن يحيط به مخلوق، بل – سبحانه – الذي أحاط بخلقه، وهو – سبحانه وتعالى – أعظم وأجل وأكبر من أن يحيط به أحد من عباده وخلقه، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠]

ويقول النبي – ﷺ –: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

فإذا كان الثناء عليه لا يحصى فكيف بإدراك ذاته وصفاته – سبحانه وتعالى – وأنى يحيط به – سبحانه – أحد من مخلوقاته، ومن لوازم كماله، وجبروته وجلاله وجماله – سبحانه وتعالى – أن لا يحيط به أحد من خلقه.

ولله في ذلك الحكمة البالغة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]

---

(1) –صحيح مسلم(٢٧١٣)

(2) –أخرجه مسلم (٤٨٦)

والله – سبحانه وتعالى – قد أحاط بجميع مخلوقاته إحاطة زمنية وإحاطة مكانية، فالإحاطة الزمانية أنه – سبحانه وتعالى – أول الأشياء، ولا شيء منها قبله، وأوليتها تنتهي إلى أوليته – سبحانه وتعالى – وتنتهي أولية كل شيء إلى أوليته – سبحانه وتعالى – وهو – سبحانه وتعالى – آخر الأشياء ولا شيء من الأشياء بعده، وآخريتها تنتهي إلى آخريته – سبحانه وتعالى – فهو محيط بكل الأشياء من أولها إلى آخرها.

وأما الإحاطة المكانية أنه – سبحانه وتعالى – ظاهر فوق كل الأشياء، ولا شيء فوقه – سبحانه وتعالى – وأن فوقية كل المخلوقات تعلوها فوقية الله – سبحانه وتعالى – وتنتهي فوقية المخلوقات إلى فوقية الله – سبحانه وتعالى – وظهوره.

وهو – سبحانه وتعالى – باطن على كل الأشياء، فهو محيط بكل الأشياء أقرب إليها حتى من نفسها – سبحانه وتعالى – مطلع على سرائرها، على علانيتها، وعلى سرها:

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩]

قريب من مخلوقاته مع علوه على عرشه – تبارك وتعالى – والظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣]

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبإ: ٣]

وهذا معنى قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

فالإدراك المنفي هنا إدراك الإحاطة، بمعنى: لا تحيط به الأبصار، بل هو الذي أدرك عباده وأحاط بهم – سبحانه – وهذا هو كمال التعظيم والذي هو فيه كماله العبودية عبودية المخلوقات، لرب البريات – تبارك وتعالى –

وقوله: "سبحان" التسبيح تنزيه.

تقول: سبح الله يسبحه تسبيحًا.

قال الخليل:

"سبحان الله" تنزيهًا لله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به.

ونصبه على موضع فعل على معنى "تسبيحًا لله" يريد: سبحتُ تسبيحًا لله أي: نزهته تنزيهًا.

قال:

حـــيٌّ عليـــمٌ قديـــرٌ والكـــلام لـــه *** فـــردٌ سميـــعٌ بصـــيرٌ مـــا أراد جـــرَى

قوله: "حي" الحيوان لغة: كل ما له روح.

لكن الروح لا تضاف إلى الله – تبارك وتعالى – من جهة أن له روحًا هي صفة من صفاته – سبحانه وتعالى – فليست الروح من صفات الله – عز وجل – بل هي خلق من خلقه – تبارك وتعالى – كما عليه عامة السلف والخلف من أهل الإسلام، ولا عبرة بقول من شذ في ذلك، والله – سبحانه وتعالى – له الحياة الكاملة التي لا يدخلها نقص، فليس قبلها عدم، وليس بعدها زوال ولا فناء، قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]

وقال النبي – ﷺ –: «أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون»[1] متفق عليه.

(1) – أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧)

ويقول الطبري – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (أما قوله الحي فيعني أنه له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له يحد، ولا آخر له يؤمن إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها)[1]. انتهى كلامه.

واسمه – سبحانه – الحي هو اسم جامع لجميع صفات الذات، وهي الصفات التي لم يزل الله – سبحانه وتعالى – متصفًا بها كالسمع والبصر والعلم والقدرة، والعلو ونحو ذلك.

وقوله: "عليم" العلم نقيض الجهل، والعليم اسم من أسماء الله – تبارك وتعالى – دال على كمال علمه – سبحانه – الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤]

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٥]

وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٩]

يقول أبو القاسم الأصبهاني:

الله – سبحانه – وصف نفسه بأنه عليم وعالم، وأثبت لنفسه العلم، وقال – عزَّ من قائل –:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

فدلت سياق هذا الكلام أن العليم الذي يكون له علم ولا يكون عليمًا إلا وله علم.

وانتبه لأن ثَمَّة من ينكر .. يثبت لله – سبحانه وتعالى – اسم العليم، وينكر أن له علمًا، قالوا: عليم بلا علم.

يقول ابن عطية في تفسيره:

---

(1) – تفسير الطبري(3/ 5)

وقوله: أنزله بعلمه هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله – تعالى – خلافًا للمعتزلة في أنهم يقولون: عالم بلا علم.

والمعنى عند أهل السنة: أنزله وهو يعلم إنزاله، ونزوله، ومذهب المعتزلة في هذه الآية أنه أنزله مقترنًا بعلمه، أي: فيه علمه من غيوب وأوامر ونحو ذلك.

فالعلم عبارة عن المعلومات التي في القرآن.

هكذا عند المعتزلة يعني.

كما في قول الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

معناه: من علم الله الذي بثه في عباده. انتهى كلامه – رَحِمَهُ اللَّهُ –

وقوله: "قدير" القدر القضاء الموفق، يقال: قدَّره الله تقديرًا وإذا وافق الشيء شيئًا قيل: جاء على قدره.

وقال ابن الأثير في أسماء الله تعالى – "القادر، والمقتدر، والقدير":

فالقادر اسم فاعل من قدر يقدِر يقدُر.

والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أبلغ.

وهذه الأسماء: القادر والمقتدر والقدير دالة على قدرة الله – تبارك وتعالى – وإثبات صفة القدرة له وقوله – تعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ [المائدة: ١٧]

دال على كمال تلك القدرة التي لا كمال فوقها.

ومن قدرته – سبحانه وتعالى – أنه قدَّر مقادير الخلق، فالقدر من قدرته، كما اتفقت على ذلك مقالة أهل السنة.

وسيأتي الكلام على القدر في موضعه بحول الله.

قال: "والكلام له" أي: أنه – سبحانه وتعالى – متكلم حقيقة، وأنَّ من صفاته صفة الكلام، واعلم أن هذه المسألة أعني مسألة "صفة الكلام" من مسائل العقائد العظام، بل هي من أهمها وأجلها وأعظمها، وأعلاها رتبة

ومنزلة.

ومن أحسن تصور هذه المسألة وفهمها واعتقادها انحلت عنه عقد كثيرة من الشبهات التي انحرفت بها طوائف كثيرة من الطوائف التي انحرفت عن الجادة، وعن الدين الحنيف.

فنقول وبالله التوفيق: اعلم أن الكلام في اللغة يطلق اللفظ والمعنى، ومن قال: بأن الكلام يطلق على اللفظ دون المعنى أو على المعنى دون اللفظ فقد أبعد عن الصواب.

وكذلك قول من قال: إن الكلام يطلق على اللفظ والمعنى بطريق الإشتراك كما زعموا، وهذا تفصيله في غير هذا الموضع.

ولذلك أهل السنة يقولون:

الكلام يطلق على اللفظ والمعنى.

ثم اعلم أنه لا يكون المتكلم متكلمًا إلا إذا كان قادرًا على الكلام، فاعلاً للكلام مسمعًا لغيره ذلك الكلام، والله – سبحانه وتعالى – موصوف بذلك كله، وهو – سبحانه وتعالى – يتكلم بمشيئته متى شاء، وكيف شاء، قال الله – تعالى –: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [النساء: ١٦٤]

وقال – سبحانه –: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]

ولا يقال أنه – سبحانه وتعالى – يخلق أصواتًا تحكي أو تعبر عمّا في نفسه – سبحانه وتعالى – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال القاضي عبد الوهاب المالكي في شرح "الرسالة":

والدليل على ذلك أنه لو كان مخلوقًا لم يخلو أن يكون جسمًا أو جوهرًا أو عرضًا؛ لأن أجناس المخلوقات لا تنفك من هذه الأقسام، ولا يجوز أن يكون جسمًا لأن ذلك يوجب قيامه بنفسه وأن يكون من جنس سائر الأجسام.

يعني: كأنه يكون القرآن جسم من سائر الأجسام.

وهذا لا يمكن.

ومثل ذلك يستحيل أن يكون جوهرًا، ولا يجوز أن يكون عرضًا، لأنه لو كان عرضًا لم يخلو أن يكون مفعولاً في المحدث أو في ذات القديم تعالى أولى في محله.

والقديم هنا المقصود به: رب العزة – تبارك وتعالى –

وهذه الألفاظ: "القديم الجوهر العرض والجسم" هذه من ألفاظ أهل الكلام لكن أهل السنة أحيانًا قد يحكون هذه الألفاظ لأجل بيان الخطأ وفهم المراد من مقالتهم لمن عارضهم، وخالفهم.

يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الكهف: ١٠٩]

قوله: "فرد" الفرد ما كان وحده.

يقال: فرد يفرد وانفرد انفرادًا، وأفردته جعلته واحدًا.

والله – سبحانه وتعالى – واحد لا إله إلا هو.

وقوله: "سميع" السميع كما قال أبو قاسم الأصبهاني:

السميع بمعنى السامع، وإن قلنا: قد يجيء السميع بمعنى المسمع لكنه نادر.

هنالك بعض الطوائف يقول: السميع بمعنى المسمع.

والمراد هنا أنه السامع هذا هو الصواب.

وقد يجيء بمعنى المسمع.

قال: السميع بمعنى السامع، وإن قلنا: قد يجيء السميع بمعنى المسمع ولكنه نادر، والنادر لا يقاس عليه.

وقد قال الله – تعالى – في قصة زكريا: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[آل عمران: ٣٨]

وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]

فدلَّ على أن السميع بمعنى السامع، والسامع لا يكون إلا وله سمع؛ لأن الفاعل لا يكون إلا وله فعل، ولأن المسمع إذا كان سامعًا ولم يكن له سمع كان أصم لأنه يُسمع غيره، ولا يَسمع بنفسه – تعالى الله – عن هذه الصفة.

النبي – ﷺ– يقول في الحديث الصحيح: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا»[1].

يقول الأزهري – رَحِمَهُ اللَّهُ–: (والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فرارًا من وصف الله – تعالى – بأن له سمعًا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع بلا سمع، بلا تكييف، ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف، ولستُ أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعًا، ويكون مسمعًا)[2]. انتهى كلامه.

وقوله: "بصير" قال الطبري:(يعني: جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [البقرة: ٩٦]

والله ذو إبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العذاب جزاءها،وأصل "بصير" مبصر" من قول القائل: أبصر فأنا مبصر،ولكنه صُرف إلى "فعيل" كما صُرِف "مسمع" إلى "سميع"، وعذاب "مؤلم" إلى "أليم" و"مبدع" السماوات والأرض إلى "بديع" وما أشبه ذلك)[3]. انتهى كلامه.

قول المصنف: "وما أراد جرى" الإرادة في اللغة هي محبة الشيء والعناية به.

نقول: أراد فلان كذا إذا أحبه واعتنى به.

---

(1) – أخرجه البخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)

(2) – النونية (2/ 215).

(3) – تفسير الطبري(2/ 376)

وهذه الإرادة التي تستلزم المحبة تثبت لله – تبارك وتعالى – فيما يتعلق بأوامره – سبحانه – وهو ما كان راجعًا إلى أوامره الشرعية، فكل أوامره الشرعية يحبها الله – سبحانه وتعالى –

وأما الإرادة التي هي بمعنى المشيئة العامة فهي التي تسمى بالكونية، وهي تتعلق بكل ما يقع في هذا الكون فقد يكون منها ما يحبه الله، ومنها ما لا يحبه الله ككفر الكافر.

ومما يدل على إثبات الإرادة لله – سبحانه وتعالى – قول الله – عز وجل –: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

وفي صحيح مسلم عن النبي – ﷺ – أنه قال: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم»[1].

يقول الناظم:

وأنَّ كرسيَّه والعرش قد وسعَا *** كلَّ السموات والأرضين إذ كبرَا

ولم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا *** بذاته فاسأل الوحيين والفطرَا

عرش الرحمن هو أعظم المخلوقات وهو أوسعها، والعرش هو من مخلوقات الله – تبارك وتعالى – حقيقة أثبته الله – سبحانه وتعالى – لنفسه، وثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله – ﷺ –

وجاءت الآيات بذكر العرش كما قال الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]

وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر العرش.

ومما يدل على أن العرش مخلوق حقيقة وأنه فسره أهل العلم: بأنه سرير الملك لله – تبارك وتعالى – ما ثبت عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – أنه قال: «الناس يصعقون يوم

(1) – أخرجه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩)

القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور»[1]. أخرجه البخاري.

ولو كان العرش كما فسره بعض أهل الكلام بأن المراد به: "العلم" لم يكن ثَم معنى صحيح بأن يأخذ موسى – صلوات الله وسلامه عليه – بقائمة من قوائم العرش.

وصحَّ عن ابن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: (الله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[2].

فيما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.

والله – سبحانه وتعالى – يقول في كتابه: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]

وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩]

وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ ﴾ [البروج: ١٥].

والعرش كما صحَّ بذلك عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وكما جاء في القرآن أنه خلق من مخلوقات الله – تبارك وتعالى – الذي هو سرير الملك لله – تبارك وتعالى – وأما الكرسي فهو موضع القدمين كما صحَّ في ذلك الأثر عن عبد الله بن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أن (الكرسي موضع القدمين)[3].

وقول الناظم: " كلَّ السموات والأرضين إذ كبرَا"

وسع العرش الكرسي السماوات والأرض، وجاء في الحديث عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة»[4] أو كما قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

---

(1) – أخرجه البخاري (٦٩١٧)، ومسلم (٢٣٧٤)

(2) – العلو (٧٩)

(3) – أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٨)

(4) – أخرجه الطبري في «تاريخه» (٩/ ١٢٠)، وابن حبان (٣٦١)

قال الناظم:

إنَّ العـــلوَّ بـــه الأخبـــارُ قـــد وردتْ *** عـــن الرَّســـول فتـابع مَـــن رَوى وقـرَا
فالله حقًّا على المُلك احتوى وعلى الـ *** ـعرش استوى وعن التكييف كُـن حَـذِرَا
والله بالعلـــمِ في كـــلِّ الأماكـــن لا *** يخفـــاه شـــيءٌ سميـــعٌ شـــاهدٌ ويـرَى

مسألة إثبات العرش وأنه خلق من مخلوقات الله – سبحانه وتعالى – ومسألة إثبات العلو لله – سبحانه وتعالى – بينهما رابط، وعلاقة.

الله – سبحانه وتعالى – قد أخبر عن نفسه أنه على العرش استوى، وأنه – سبحانه وتعالى – في السماء، وجاء تفسير ذلك من كلام سلف هذه الأمة كما صحَّ ذلك عن ابن مسعود وسبق أن ذكرناه أن: الله – سبحانه وتعالى – أن العرش فوق السماء السابعة وأن فوق العرش الله – تبارك وتعالى – فالله – سبحانه وتعالى – قد علا على العرش، وعبارة ابن أبي زيد القيرواني – رَحِمَهُ اللَّهُ – في ذكر تفسير العرش وبيان أن الله – سبحانه وتعالى – فوق العرش بذاته، كما قاله – رَحِمَهُ اللَّهُ – في المقدمة، مقدمة "الرسالة".

يقول مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ –:(والله – عز وجل – في السماء، وعلمه في كل مكان.

ويقول ابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ – في "الجامع":

فمما اجتمعت عليه الأئمة من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة، وضلالة: أن الله فوق سماواته على عرشه دون أرضه.

وهنا قضية مهمة ينبغي التفكر فيها، والتدبر فيها:

الله – سبحانه وتعالى – عالٍ على كل المخلوقات – سبحانه وتعالى – وليس ثم شيء من المخلوقات إلا والله – سبحانه وتعالى – قد أحاط به، وهنالك تلازم بين مسألة العلو، ومسألة الاستواء على العرش، ومسألة الإحاطة من الله – سبحانه وتعالى – بالمخلوقات.

يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ ﴾ [الشورى: ٤]

ويقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ [الأعلى: ١]

ويقول – سبحانه وتعالى –: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]

ويقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [الفرقان: ٥٩]

العلو الثابت لله – تبارك وتعالى – كما يقول أهل العلم هو على ثلاثة انواع:

علو قدر.

وعلو قهر.

وعلو ذات.

علو قدر وهو: علو قدره – سبحانه وتعالى – في صفاته وأسمائه– تبارك وتعالى –

وعلو قهر هو: أن كل شيء تحت قهره – سبحانه وتعالى – وأنه لا يعزب عن قهره – سبحانه وتعالى – شيء من مخلوقاته.

وعلو الذات أن الله – تبارك وتعالى – فوق المخلوقاته بذاته – عز وجل – خلافًا لمن قال: إن الله في كل مكان.

وهو قول باطل يرده قول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي – ﷺ– أنه قال حين حكم سعد في بني قريظة قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات»[1]

وهذا من أصرح النصوص الثابت عن النبي – ﷺ– في ذكر أن الله – تبارك وتعالى – فوق السماء السابعة.

فأهل السنة يعتقدون أن السماوات سبع، وأن الله – سبحانه وتعالى – فوق عرشه، وفوق السماوات السبع.

وفوق العرش علا ربنا – سبحانه وتعالى – وارتفع، وتفصيل الكلام في ذلك يطول، كما ذكر أهل العلم الأحاديث الثابتة في ذكر علو الله – تبارك وتعالى – في القرآن تزيد على الألف دليل.

ثم قال – رَحِمَهُ اللَّهُ–: "وعن التكييف كُن حَذِرَا"

أي: احذر أن تكيف وهنا ذكرنا مقالة مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ– حين سئل عن الاستواء على العرش.

قال:

والله بالعلـــمِ في كـــلِّ الأماكـــن لا *** يخفـــاه شـــيءٌ سميـــعٌ شـــاهدٌ ويـــرَى

الله – سبحانه وتعالى – نعم في كل مكان لكن بعلمه لا بذاته – سبحانه وتعالى – وهذا الذي يجب أن يعتقد أنه– سبحانه وتعالى – بعلمه في كل مكان لا بذاته – سبحانه وتعالى – خلافًا لمن زعم أن الله – سبحانه وتعالى – هو في كل مكان – سبحانه – بذاته وهذا من الخطا الجسيم.

ويدخل في ذلك الحشوش والأماكن القذرة ونحو ذلك– تعالى الله سبحانه عن ذلك علوًا كبيرًا – ولولا ضيق الوقت حقيقة لفصلنا واستطردنا في ذكر بعض المسائل المتعلقة بالعلو.

---

(1)-العلو (٣٥) صحيح

يقول أمية بن أبي الصلت:

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره *** هو فوق العرش فرد موحد

ملك على عرش السماء مهيمن *** بعزته تعنوا الوجوه وتسجد

ثم قال المنصف – والناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

وأنَّ أوصافَه ليس بمُحدَثة *** كذاك أسماؤه الحُسنى لِمَن ذكرَا

وأن تنْزيلَه القرآنَ أجمعَه *** كلامُه غيرُ خلق أعجز البشرَا

وحْيٌ تكلّمَ مولانا القديمُ به *** ولم يزل من صفات الله مُعْتبرَا

الأبيات إلى قوله:

حتى إذا تَجلى ذو الجلال له *** تصدَّع الطورُ من خَوف وما اصطبرَا

يقول: "وأنَّ أوصافَه ليست بمُحدَثة"

المحدث هو: الجديد.

والحديث هو الشيء الجديد تقول: أحدث فلان كذا إذا جاء بأمر جديد، واستجد به.

"وأنَّ أوصافَه ليست بمُحدَثة".

والأوصاف هنا هي صفات الله – تبارك وتعالى –

قال: "كذاك أسماؤه الحُسنى لِمَن ذكرَا"

وهذا مرَّ الكلام فيه.

ثم انتقل – رَحِمَهُ اللَّهُ – في الأبيات التي تليها في حوالي ما يقرب في خمسة أبيات يتكلم – رَحِمَهُ اللَّهُ – عن كلام الله – تعالى – وعن القرآن ثم عن النظر إلى الله – تبارك وتعالى –

هذه الخمسة أبيات ذكر فيها – رَحِمَهُ اللَّهُ – القصة التي جاءت في قصة موسى – عليه الصلاة والسلام – لما قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآيات قال:

وأن تنْزيلَـــــه القـــــرآنَ أجمعَـــــه *** كلامُــه غيــرُ خلــق أعجــز البشــرَا

كما ذكرنا في مسألة الكلام أن هذه القضية من القضايا والمسائل الكبار عند أهل العلم والإيمان، وهي مسألة الكلام وصفة الكلام لله – تبارك وتعالى – وسبق أن تكلمنا عن مسألة الكلام وأن أهل السنة يثبتون الكلام لله حقيقة، وأن الله – تبارك وتعالى – تكلم بكلام يسمع، وأنه يتكلم متى شاء – سبحانه وتعالى – وتفصيل ما يتعلق بالقرآن أن القرآن هو الذي حصلت فيه خصومة خاصة بين الطوائف.

فعندنا مسألة الكلام العام، الله – سبحانه وتعالى – قد يتكلم بالقرآن وغير القرآن – سبحانه – لكن أفردت مسألة الكلام المتعلقة بالقرآن بالذكر لأنها قد حصلت فيها خصومة خاصة، ولأن القرآن هو الوحي الذي أنزله الله – سبحانه وتعالى – على محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

وقد أجمعت الأمة من أولها إلى آخرها، سلفها وخلفها من أهل الإيمان والسنة على أن القرآن كلام الله – تبارك وتعالى – وأن كلام الله – عز وجل – تكلم به حقيقة، وخالفت في ذلك طوائف، الطوائف التي انحرفت عن سنة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

فأهل السنة يعتقدون أن القرآن كلام الله – سبحانه وتعالى – تكلم به – سبحانه وتعالى – حقيقة، وسمعه منه جبريل – صلوات الله وسلامه عليه – وأسمعه جبريل لرسولنا محمد – صلوات الله وسلامه عليه – فتكلم الله – سبحانه وتعالى – بالقرآن، وتكلم به جبريل، سمعه جبريل من الله – سبحانه وتعالى – وسمعه رسولنا – صلى الله عليه وآله وسلم – عن جبريل – عليه الصلاة والسلام –

وكلام أهل السنة في ذلك يطول؛ ولذلك جاءت الآثار من زمن الصحابة – رضي الله عنهم – في ذكر أن القرآن كلام الله – سبحانه وتعالى – وقد قال الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]

فالقرآن كلام الله – سبحانه وتعالى – والإيجارة هنا لمن كان من أهل الكفر والشرك لأجل أن يسمع هذا الكلام الذي أنزله الله – سبحانه وتعالى – على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم –

وقول الناظم هنا: "وغير خلق" أي: غير مخلوق أن القرآن غير مخلوق.

وهو معجز أعجز البشر، وإعجاز القرآن حاصل من عدة وجوه، فإعجازه حاصل من جهة لفظه، وإعجازه حاصل من جهة معناه، وإعجازه حاصل من جهة أحكامه، ومن جهة كل ما يتعلق بما فيه من نظم لألفاظ القرآن، لا أعني بالنظم الذي هو الشعر، ولكن أعني بانتظامه.

وأهل السنة يقولون: أن الله – سبحانه وتعالى – قد تكلم بحرف وصوت، يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب.

وأن كل ما يتكلم به الإنسان هو كلام الله – تبارك وتعالى – وليس ثَمَّ شيء من الكلام والأقوال التي جاءت في كتاب الله – سبحانه وتعالى – من الحروف، إلا وهي من كلام الله – تبارك وتعالى – ولذلك قال – رحمه الله – "أجمعه".

فهو كله من كلام الله – عز وجل –

قال:

وحْـــيٌ تكلّـــَم مولانـــا القـــديمُ بـــه *** ولـــم يـــزل مـــن صفـــات الله مُعْتـــبرَا

أي: أنَّ القرآن كله وحي من الله – سبحانه وتعالى – تكلم الله – سبحانه وتعالى – به، والقديم هنا يريد به: ربنا – تبارك وتعالى – المراد بالقديم هنا ربنا – تبارك وتعالى –

وهذا من ألفاظ المتكلمين، لكنه قد يستعمله كما أسلفنا أهل السنة لأجل مجاراة المتكلمين، وبيان بطلان كلامهم في بعض المسائل.

قال:

وحْـيٌ تكلّـَم مولانـا القـديمُ بـه *** ولـم يـزل مـن صفـات الله مُعْتـبرَا

أي: أن القرآن هو من صفات الله – سبحانه وتعالى – ولذلك قال: "معتبرًا" أي: اعتبره أهل السنة.

يُتلَـى ويُحمـل حفظـًا في الصـدور كمـا *** بالخـطِ يُثبِتُـه فـي الصُّحـف مَـن زَبَـرَا

أي: أنَّ هذا الذي يتلى هو كلام الله – تبارك وتعالى – وهذا الذي يحفظ في الصدور هو كلام الله – سبحانه وتعالى –

وكذلك هذا المكتوب في الصحف في المصاحف هو كلام الله – تبارك وتعالى –

وأن موسـى كلـيمُ الله كلَّمـه *** إلهـهُ فـوق ذاك الطـور إذ حضـرَا

فـالله أسمعـه مـن غـير واسطـة *** مـن وصفـه كلمـات تحتـوي عِبـرَا

وأن موسى كليمُ الله كلَّمه إلههُ فوق ذاك الطور إذ حضرَا وهذه القصة التي ذكرناها من أنَّ موسى – صلوات الله وسلامه عليه لما: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

وفي الآية الأخرى أن الله – سبحانه وتعالى – قال: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾ [طه:١ – ٤]

إلى أن قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾ [طه:١٢] الآيات.

فهذا من كلام الله – سبحانه وتعالى – لنبي الله موسى – صلوات الله وسلامه عليه – فإن قال قائل: فهذا القرآن الذي نتلوه هل المراد بذلك ألفاظنا هي كلام الله؟ أم أن الكلام نفسه هو كلام الله؟

فيقال: بل الكلام والمعاني تلك الحروف ومعانيها هي كلام الله – سبحانه وتعالى – ولكن أصواتنا ولهواتنا هي مخلوقة.

كما فصَّل في ذلك البخاري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في خلق أفعال العباد، واستطال في الكلام في ذلك – عليه رحمة الله تبارك وتعالى –

قال:

فـــالله أسمعـــه مـــن غـــير واسطـــة *** مـــن وصفـــه كلمـــات تحتـــوي عِبـــرَا

وأنا أحاول هنا أن أخلص الكلام حقيقة لضيق الوقت؛ لأننا نريد نحاول أدراك ما نستطيع من المسائل المتعلقة بهذا النظم وإلا فالمسائل كثيرة تتعلق بصفة الكلام لله – عز وجل –

قال:

حتـــى إذا هـــام سُكـــراً في محبَّتـــه *** قـــال الكليـــم : إلَهـــي أســـأل النَّظـــرَا
إليـــك . قـــال لـــه الرحمـــن موعظـــة *** أنَّـــي تـــرانِي ونـــوري يُدهـــشُ البصـــرَا
فـــانظر إلـــى الطـــور إن يثبـــت مكانتـــه *** إذا رأى بعـــضَ أنـــواري فســـوف تـــرَى
حـــتى إذا تَجلـــى ذو الجـــلال لـــه *** تصـدَّع الطـورُ مـن خَـوف ومـا اصـطبرَا

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]

ومراد الناظم بذكر هذه الأبيات الأربعة أن موسى – صلوات الله وسلامه عليه – كلم الله – سبحانه وتعالى – وأن موسى سأل الله – سبحانه وتعالى – الرؤية، وسيأتي الكام بالتفصيل عن الرؤية في موضعه بحول الله –

سبحانه وتعالى –

لكنه ذكر هنا تلك المحاورة التي كانت بين الله – سبحانه وتعالى – وبين موسى – صلوات الله وسلامه عليه – وهذا ثابت في كتاب الله – سبحانه وتعالى – ولو أن موسى – صلوات الله وسلامه عليه – لم يكلم ربه – تبارك وتعالى – ما كان لذكر الله – سبحانه وتعالى – لذلك معنى؛ ولذلك يقول بعض أهل الكلام: أن الله – سبحانه وتعالى – خلق الكلام في شيء فتكلم مع موسى – صلوات الله وسلامه عليه – والله – سبحانه وتعالى – قد صرَّح في كتابه – تبارك وتعالى – كما قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [النساء: ١٦٤] فكلم الله – سبحانه وتعالى – نبيه موسى – صلوات الله وسلامه عليه –

أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فهذا المجلس الثالث من مجالس هذه الدورة العلمية المباركة – إن شاء الله – والذي نعقد فيه شرح "نظم مقدمة ابن أبي زيد القيرواني" رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – للعلامة أحمد بن مُشَرَّف الأحسائي – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الناظم – رحمه الله –:

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

وبالقضاء و بالأقدار أجمعها *** إيمانُنا واجبٌ شرعاً كما ذكرَا
فكلُّ شيء قضاه الله من أزَل *** طُرًّا وفي لوحه المحفوظ قد سطرَا
وكلُّ ما كان من همٍّ و من فَرح *** ومن ضلال و من شكران مَن شكرَا
فإنَّه من قضاء الله قدَّره *** فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القدرَا
والله خالقُ أفعال العباد و ما *** يجري عليهم فعن أمر الإلَه جرَا
ففي يديه مقادير الأمور و عن *** قضائه كلُّ شيء في الورى صدرَا
فمَن هَدى فبمحض الفضل وفَّقه *** و من أضلَّ بعدل منه قد كفرَا
فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوى *** ما شاءه الله نفعاً كان أو ضررَا

الشرح:

ذكر الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – هنا هذا الفصل الذي ذكره ابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ – وهذا الفصل هو متعلق بالإيمان بالقدر بخيره وشره، قال: فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة التي جاءت الشريعة بها، والتي أقرَّت بها الفطر السوية، ولم يخالف فيها إلا أصحاب الفطر المخالفة لأمر الدين، وأمر الشريعة، قد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: «جاء مشركو قريش إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر:٤٨-٤٩]»[1]

والله – سبحانه وتعالى – قد كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض، وقد أخرج مسلم في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[2].

والمقصود هنا هو إيمان الخلائق بأن الله – سبحانه وتعالى – قد قدَّر كل شيء كائن، وأن كل ما يكون في هذا الكون، ويحصل في هذا الكون فهو بقدر من الله – سبحانه وتعالى – فهو – سبحانه وتعالى – كتب تلك المقادير، وقدرها، وشاءها – سبحانه وتعالى – ولا يحصل في ملكه – سبحانه وتعالى – إلا ما يشاءه – سبحانه – فالله – سبحانه وتعالى – علم ما هو كائن إلى قيام الساعة.

والله – سبحانه وتعالى – كتب تلك الأشياء وما هو كائن إلى قيام الساعة، وشاء – سبحانه وتعالى – وخلق خلقه على ما خلقهم – سبحانه وتعالى – على وِفق مشيئته – عز وجل – وفي ذلك الأحاديث والآيات التي وردت وسيأتي الكلام عليها.

---

(1) – أخرجه مسلم (٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧)

(2) – أخرجه مسلم (٢٦٥٣)

وقول الناظم: "وبالقضاء" القضاء كما قال الخليل:

قضى يقضي قضاء وقضية أي: حكم

ويطلق على الوصية، وهنالك إطلاقات أخرى للقضاء.

وقوله: "من أزل" الأزل قال في "الكليات": "الأزل" بالتحريك هو ما لا بداية له في أوله كالقِدم، و"الأبد" ما نهاية له في آخره كالبقاء.

وقوله: "طُرًّا" أي: جميعهم.

وقوله: "سُطِرا" أي: كُتِب.

يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: ٢]

قال قتادة: مكتوب.

وقول الناظم: "في لوحه المحفوظ" "اللوح" كما قال ابن سيده:(اللوح هو كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب، وفي التنزيل ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢٢] يعني: مستودع مشيئات الله)[1].

و"اللوح المحفوظ" هو اللوح الذي كتب فيه ما هو كائن إلى قيام الساعة.

قال الطبري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

والمحفوظ حفظًا، أو خفضًا..

"محفوظ" خفضًا – يعني في آخر – على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ، وإذا كان كذلك كان التأويل في لوح محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه عمّا أثبته الله فيه.

وقوله: "شكران" مصدر شكر.

وقوله: "الورى" قال الخليل:

---

(1) – لسان العرب(2/ 584)

الورى مقصور: الأنام الذي على ظهر الأرض.

وقوله: "فبمحض" المحض هو: اللبن لم يخالطه الماء حلوًا كان أو حامض.

ويقال: عربي محض أي: خالص النسب.

القدر هو: فعل الله – تعالى – في خلقه، فهو داخل في إيمان الخلائق بتوحيد الله – تبارك وتعالى – وذلك أن القدر مشتمل على أن الله علم ما هو كائن، وأنه كتب ما هو كائن، وأنه شاء ما هو كائن، وأنه خلق ما هو كائن – سبحانه وتعالى – وبهذا تتضح صورة اندراج القدر تحت توحيد الربوبية لله – جل جلاله – وبهذا صرَّحت نصوص القرآن والسنة، وأقوال سلف هذه الأمة.

يقول ابن أبي زيد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "الرسالة":

والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]

يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد – تعالى – أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالق لشيء إلا وهو رب العباد، ورب أعمالهم، والمقدر لحركاتهم وآجالهم. انتهى كلامه – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –

فهنا أربعة أمور هي مراتب القدر:

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

هذه أربعة أمور: العلم والكتابة، والمشيئة والخلق.

هذه الأربعة دلَّت عليها نصوص القرآن، ونصوص سنة النبي – ﷺ – وفهم سلف هذه الأمة – رضوان الله تعالى عليهم –

ففي العلم يقول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]

ويقول الله – تبارك وتعالى –: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]

يقول الحسن البصري: (علم الله من كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة)[1]. أخرجه الفريابي في القدر.

وصح عن مجاهد – رَحِمَهُ اللَّهُ – أنه قال في قول الله – تبارك وتعالى –:

﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠]

قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

وسيأتي – إن شاء الله – الكلام على خلق الأفعال.

وفي الكتابة وهي: كتابة مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ، قال الله – تبارك وتعالى –:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[يس: ١٢] أي: في اللوح المحفوظ.

وقال الله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠]

وأخرج الترمذي من حديث عبد الواحد بن سليم قال:(قدمتُ مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت له يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون بالقدر؟! قال: يا بُني أتقرأ القرآن؟ قال: قلتُ: نعم. قال: فاقرأ الزخرف.

قال: فقرأتُ ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف:١-٤]

---

(1) – المصنف (كتاب الزهد) (8/ 309)

فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قال: قلتُ: الله ورسوله لأعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات، وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة ابن الصامت صاحب رسول الله – ﷺ– فسألته: ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي فقال لي: يا بُني، اتقِ الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر خيره وشره، فإن متَّ على غير هذا دخلت النار. وإني سمعت رسول الله – ﷺ– يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: «اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[1].

فهذا صريح في الكتابة، وأن الله – سبحانه وتعالى – كتب ما هو كائن، وعلى وجوب الإيمان بأن الله – سبحانه وتعالى – كتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، وما هو مكتوب من آجل لا يستلزم بحال أن يكون عمل العبد الذي يعمله هو الذي يختم له به، فإن «العبد قد يعمل بعمل أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» و«يعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ولذلك رحم الله بلال بن سعد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ– الذي يقول: ربَّ مسرور مغبون ولا يشعر، يأكل ويشرب ويضحك وقد حُطَّ له في كتاب الله أنه من وقود النار. نسأل الله السلامة والعافية.

وفي المشيئة والإرادة، مرتبة المشيئة والإرادة وهي: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن فعله – سبحانه وتعالى – وفعل مخلوقاته كله بمشيئته – سبحانه وتعالى – قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الانسان: ٣٠]

وقال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]

(1) – صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث(5/ 514)

وقال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول:« إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد واحد يصرفها حيث يشاء ثم قال رسول الله – ﷺ –: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[1].

وثبت في البخاري من حديث البراء بن عازب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: رأيت النبي – ﷺ – يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول: «والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا»[2]

قال عمرو بن شرحبيل في قوله – تعالى –:﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]

قال: من شأنه أن يميت من شاء من خلقه من شأنه أن يميت من جاء أجله، ويصور ما شاء في الأرحام، ويعزُّ من يشاء، ويذل من يشاء، وأن يفدي الأسير)[3].

وفي مرتبة الخلق وهو: الإيمان بأن الله – تبارك وتعالى – خلق الخلائق وأوجدهم من عدم – سبحانه – وأنه – سبحانه وتعالى – خلق أفعال العباد خيرها وشرها.

انتبه هذه قضية مهمة: وأنه – سبحانه وتعالى – خلق أفعال العباد خلق خيرها وشرها، فالعباد وأفعالهم كل ذلك مخلوق لله – تبارك وتعالى – يقول الله – عز وجل –:

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]

وقال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦]

وقال النبي – ﷺ –: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»[4]

وأخرج أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن حميد قال:

(قدِم علينا الحسن مكة، فكلمني فقهاء مكة أن أكلمه في أن يجلس لهم يومًا يعظهم فيه؟

---

(1) – صحيح مسلم(٢٦٥٤)

(2) – صحيح البخاري ٦٦٢٠()

(3) – أخرجه أبو نعيم عنه في "الحلية"(4/ 143)

(4) – أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٧٠)

فقال: نعم.

فاجتمعوا عليه، فخطبهم، فما رأيت أخطب منه!

فقال رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟

وأبو سعيد هو: الحسن البصري.

يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟

فقال: سبحان الله، هل من خالق غير الله؟!

خلق الله الشيطان، وخلق الخير، وخلق الشر؟!

قال الرجل: قاتلهم الله كيف يكذبون على الشيخ؟!

كأنهم يعني: كذبوا على الحسن البصري بأنه كان يقول: القدر، واتُّهِم بذلك..)[1]

رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

وهنا تأتي قضية مهمة تتعلق بالقدر وهي:

ما قاله أهل العلم: بأن القدر في نفسه لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ لأن القدر هو علم الله، وقدرته، وكتابته، ومشيئته، وذلك كله خير وكمال من كل وجه؛ ولذلك النبي – ﷺ – يقول:« والشر ليس إليك »[2].

لكن كيف الجمع بين هذا وبين أن الله – سبحانه وتعالى – خلق الخير والشر؟

فنقول: الشر ليس إلى الله – تبارك وتعالى – ولا ينسب إلى الله – عز وجل – بوجه من الوجوه، لا في ذاته – سبحانه وتعالى – ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله أن ذلك كله منه – سبحانه وتعالى – كمال.

---

(1) – أخرجه أبو داوود برقم(4618)

(2) – أخرجه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢١)، والنسائي (٨٩٧)

وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر، فيكون شرًّا بالنسبة إلى محل، وخيرًا بالنسبة إلى محل آخر.

فقد يكون خيرًا بالنسبة للمحل القائم به، يعني مثلاً إنسان حصل له مرض، قد ينظر له إنسان من وجه يرى أنه شر، وهو من وجه آخر فيه خير لما فيه من الكفارات ولما فيه من رفعة الدرجات، إلى آخره.

فهنالك أيضًا خير من وجهٍ آخر؛ ولذلك أهل السنة يقولون:

لم يخلق الله – تبارك وتعالى – شرًّا محضًا.

فذلك خلاصة القضية: أن الله – سبحانه وتعالى – خلق الشر والخير، ولكن لا ينسب الشر إلى الله – تبارك وتعالى – لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن القدر هو فعل الله – تبارك وتعالى –

وإنكار القدر ضلالة وكفر والعياذ بالله – عز وجل – لأن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان العبد إلا بالإتيان بها.

وقد أخرج مسلم عن يحيى بن يعمر قال: (كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَيْن أو مُعتمرَيْن، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله – ﷺ – فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبالنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف.

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فانفقه، ما قُبل منه، أو ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم ذكر عن أبيه عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – الحديث وفيه: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(1).

يقول الإمام مالك – رَحِمَهُ اللَّهُ –: (ما أضل من كذَّب بالقدر، لو لم يكن عليه فيه حجة إلا قوله – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] لكفى بها حجة). أخرجه الفريابي في "القدر".

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

و لَـمْ تَمُـت قـطُّ مـن نفـس ومـا قُتلـت *** مـن قبـل إكمالهـا الـرِّزق الـذي قُـدرَا
وكـلُّ روح رسـولُ المـوت يقبضُـها *** بـإذن مـولاه إذ تستكمـل العُمُـرَا
وكـلُّ مـن مـات مسئـولٌ ومفتـتنٌ *** مـن حـين يـوضعُ مقـبرواً ليُختـبرَا
و أنَّ أرواحَ أصحـاب السعـادة في *** جنَّـات عـدن كـطير يعـلق الشَّـجَرَا
لكنَّمـا الشُّهـَداءُ أحيـا و أنفسهـم *** في جـوف طيـر حسـان تُعجـب النَّظَـرَا
وأنَّهـا في جنـان الخلـد سـارحةٌ *** مـن كـلِّ مـا تشـتهي تجنـي بهـا الثَّمـرَا
وأنَّ أرواح مـن يشـقى مـعذَّبةٌ *** حتَّـى تـكون مـع الجُثمـان في سَـقَرَا

الشرح:

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

فصل في عذاب القبر وفتنته أي: هذا فصل في بيان مسائل الإيمان المتعلقة بعذاب القبر وفتنته.

وتحت مثل هذه الفصول يذكر أهل العلم عذاب القبر ونعيمه، وما يحصل فيه من الفتنة والسؤال وقد يعرجون على ذكر مسائل تتعلق بالبعث ونحو ذلك من المسائل كما صنع الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –

(1) – صحيح مسلم(٨)

قد ذكر الناظم تحت هذا الفصل مسائل عدة تتعلق بالموت والحساب، يقول – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

و لَـمْ تَمُـت قـطُّ مـن نفـس ومـا قُتلـت *** مــن قبــل إكمالهـا الـرِّزق الـذي قُـدرَا

الأبيات..

قوله: "قَطّ" بفتح القاف والمثناة الفوقية وتشديد الطاء المضمومة هي: ظرف زمان لاستغراق الماضي، تختص بالنفي.

أراد الناظم في هذين البيت في قوله:

و لَـمْ تَمُـت قـطُّ مـن نفـس ومـا قُتلـت *** مــن قبــل إكمالهـا الـرِّزق الـذي قُـدرَا

وكــلُّ روح رســولُ الله يقبضُــها *** بــإذن مــولاه إذ تستكمــل العُمُــرَا

أراد الناظم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أن يوضح أن الآجال كلها مضروبة إلى أمد مسمى.

قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

وقال الله – عز وجل –: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢]

وكل نفس إذا ماتت فإنها لا تموت حتى تستكمل الرزق والأجل الذي أجله الله – تبارك وتعالى – لها، فعن أبي الدرداء – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»[1].

وهذا من مسائل الإيمان العظام التي آمن بها أهل السنة واعتقدوها وجعلوها من المسائل التي يعيشونها طوال حياتهم وفي أيام حياتهم؛ لأنَّ العبد موقن أن كل ما يجني عليه في هذه الحياة الدنيا

(1) – صحيح ابن حبان(٣٢٣٨)

إنما هو من قدر الله – سبحانه وتعالى – وأن كل ما قسمه الله – سبحانه وتعالى – عليه فهو من رزق الله – سبحانه وتعالى – الذي قسم الأرزاق، فأعطى هذا، ومنع هذا، وزاد هذا، وأنقص من هذا وهو – سبحانه وتعالى – له في هذا الحكمة البالغة وقد قال – عز وجل –:

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧]

وعن حذيفة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: « قام النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فدعا الناس فقال: هلموا إلي.

يعني: تعالوا.

قال: هلموا إلي.

فأقبلوا إليه، فجلسوا.

فقال: هذا رسول رب العالمين جبريل – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته»[1].

لذلك الإنسان لا يدري متى يكون أجله؟ وبأي أرض يكون أجله؟ وكيف يكون أجله؟

وقد قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إذا أراد الله – تعالى – قبض روح عبد بأرض جعل له فيها حاجة»[2].

يقول الله – عز وجل –: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]

ثم قال الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

وكـــلُّ مـــن مـــات مسئـــولٌ ومفتـــتنٌ *** مـــن حـــين يـــوضعُ مقـــبرواً ليُختـــبرَا

قال ابن أبي زيد في "رسالته":

---

(1) – صحيح الترغيب (١٧٠٢)

(2) – أخرجه الطيالسي (١٤٢٢)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤١٢) باختلاف يسير

وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم، ويسألون: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧] عند المسألة.

المراد بـ"الفتنة": الاختبار والامتحان.

وفتنة القبر هي: سؤال الملكين للميت عن ربه، ودينه، ونبيه – صلوات الله وسلامه عليه –

وعلَّق القاضي عبد الوهاب البغدادي على كلام ابن أبي زيد القيرواني في "رسالته" قال:

هذا الذي قاله هو قول أئمة الحديث، والسنة، والسلف الصالح من الأمة من إثبات عذاب القبر، ومُساءلة منكر ونكير وإحياء الموتى من قبورهم، ورد أرواحهم إلى أجسادهم، وقد دلَّ على ذلك القرآن وتواترت به الأخبار وكثرت فيه الروايات عن السلف، وأنكرت المعتزلة وغيرهم من المبتدعة جميع ذلك، ومنهم من أجازه ولم يقطع.

قلتُ: ممن أنكره كذلك طوائف من الخوارج.

وأدلة عذاب القبر ونعيمه كثيرة متواترة، ففي البخاري عن النبي – ﷺ – في قوله – تبارك وتعالى – : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [ابراهيم: ٢٧] قال: «نزلت في عذاب القبر»[1].

وثبت من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر»[2].

وعن أنس – رضي الله عنه – أنه حدثهم أن رسول الله – ﷺ –: «أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل – لمحمد ﷺ – فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله".فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به من الجنة. فيراهما جميعًا.قال قتادة: وذكر لنا أنه فيفسح له في قبره.ثم رجع إلى حديث أنس – يعني قتادة – قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا

(1) – أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)

(2) – أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٨)، والطبري في «مسند عمر» (٨٦١) واللفظ لهما

الرجل؟فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس.فيقال: لا دريت ولا تليت.ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1]. أخرجه البخاري وغيره.

فالعبد يفتتن في قبره، وهذا الافتتان يكون للمسلم، ويكون للكافر ويكون حتى للأطفال على الأظهر، والله أعلم أن الأطفال يدخلون كذلك في هذا السؤال وهذه الفتنة، على مقال وتفصيل يطول ذكره عند أهل العلم.

ثم قال الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

و أنَّ أرواحَ أصحـــــاب السعـــــادة في *** جنَّـــات عـدن كـــطير يعـــلق الشَّـــجَرَا
لكنَّمـــا الشُّهـــَداءُ أحيـــا و أنفسهـــم *** في جـــوف طيـر حسـان تُعجـب النَّظَـرَا
يـوضعُ مقـبرواً ليُختـبرَا وأنَّهـا في جنـان *** مـن كـلِّ مـا تشـتهي تجنـي بهـا الثَّمـرَا

يقول:

و أنَّ أرواحَ أصحـــــاب السعـــــادة في *** جنَّـــات عـدن كـــطير يعـــلق الشَّـــجَرَا

ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – "أرواح أصحاب السعادة" وأصحاب السعادة هم أهل الجنة، هم أصحاب السعادة.

يقول: "في جنَّات عدن كطير يعلق الشَّجَرَا" كطير يعلق في الأشجار. وقد جاء في الحديث عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق بشجر الجنة»[2]

وفي لفظ آخر عند أحمد قال: «تكون النسم طيرًا تعلق بالشجر حتى إذا كانوا يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»[3].

وقال جمع من أهل العلم: أن المراد هنا "الشهداء" لا غيرهم هم الذين تكون أرواحهم في أجواف طير، أو تكون النسم طيرًا تعلق بالشجر، قالوا: هذا خاص "بالشهداء".

---

(1) – صحيح البخاري (١٣٧٤)

(2) – السلسلة الصحيحة ٢(/ ٦٩٤)

(3) – السلسلة الصحيحة (٦٧٩) حسن لغيره

للحديث الآخر عن النبي – ﷺ– قال: «إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربهم إطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا.ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[1]. الحديث.

ولذلك ابن عبد البر – رَحِمَهُ اللَّهُ– في "الاستذكار" استنكر لفظ "جوف طير" وقال: وهذا هو الصحيح، لا رواية من روى أجواف طير؛ لأنه لا يجتمع في جسد روحان روح المؤمن وروح طير، هذا محال، تدفعه العقول لمخالفته الأصول، وإنما الرواية الصحيحة والله أعلم رواية من روى: «في أرواح الشهداء كأنها طير» لا «في جوف طير». هكذا قال – رَحِمَهُ اللَّهُ– وكان النظر الذي نظره – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – أنه فيه اجتماع روحين في جسد واحد، روح المؤمن، وروح الطير.

هكذا قال، وهذا ليس بلازم، فالله – سبحانه وتعالى – على كل شيء قدير – سبحانه وتعالى – لكن قد ينظر هنا في أنَّ ذكر أرواح الشهداء أنها في أجواف طير، واللفظ الآخر للحديث: «أن المؤمنين تكون أرواحهم طير تسرح في الجنة». أن هذا هل يفسر الحديث الأول بالثاني؟

هذا خلاف بين أهل العلم، واختار الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ– اختار أن المؤمنين تكون أرواحهم طيرًا يعلق الشجر، والشهداء – عليهم رحمة الله تعالى – يكونون في جوف طير حِسان تعجب النظرا.

قال:

وأنَّهـــا في جنـــان الخلـــد ســـارحةٌ *** مـن كـلِّ مـا تشـتهي تجنـي بهـا الثَّمـرَا

أنها تسرح في جنة الخلد.

قال:

(1) – صحيح الجامع(١٥٥٨)

وأنَّ أرواح مـــن يشـــقى مـــعذَّبةٌ *** حتَّـى تـكون مـع الجُثمـان في سَـقَرَا

ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – كذلك من المسائل مسائل الاعتقاد أنه كما يكون أهل الإيمان في الجنة، كذلك يكون أهل الكفران والعصيان يكونون في نار جهنم – والعياذ بالله تبارك وتعالى – وقد أجمع أهل السنة على إثبات العذاب في القبر، وإثبات العذاب في الآخرة.

وعامة أهل السنة على أن العذاب والنعيم يقع على الروح والجسد، وليس فقط على الروح، ولا هو على الجسد فحسب، واستدلوا لذلك بحديث البراء بن عازب الطويل في بيان فتنة القبر وفيه: «وتعاد روحه إلى جسده». ثم ذكر بعد ذلك ما يحصل له.

وهذا صريح في إثبات رجوع الروح إلى الجسد، وأنها تشارك البدن في العذاب والنعيم والله أعلم.

ثم قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

وأنَّ نفـــــخةَ إسرافيـــــلَ ثانيـــــة *** في الصُّـور حـقٌّ فيـحيى كـلُّ مَـن قُـبرَا

كمـــا بـــدا خلقهـــم ربِّـــي يُعيدُهـــم *** سـبحان مـن أنشـأ الأرواحُ و الصُّـوَرَا

حـــتى إذا مـــا دعـــا للجمـــع صـــارخُه *** و كـلُّ ميْـت مـن الأمـوات قـد نُشـرَا

"الصور" هو: قرن يشبه البوق ينفخ فيه إسرافيل – عليه السلام – قال الله – تبارك وتعالى –:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ٩٩﴾ [الكهف: ٩٩]

وقال – سبحانه وتعالى –:﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]

وفي الحديث: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ قال المسلمون: فيكف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»(1). وربما قال سفيان: «على الله توكلنا».

إسرافيل – عليه الصلاة والسلام – ذكر غير واحد من أهل العلم: الإجماع على أن الملك الذي ينفخ في الصور اسمه "إسرافيل" – صلوات الله وسلامه عليه –

والنفخ في الصور اختلف فيه أهل العلم: هل يكون ثلاث؟ أو تكون نفختان؟

هل تكون ثلاث نفخات؟ أو تكون نفختان؟

فمن قال: نفختان قال: النفخة الأولى للموت والفزع، والنفخة الثانية: للبعث والنشور.

والذين قالوا ثلاثًا قالوا: نفخة للموت، والثانية للفزع، والثالثة للبعث والنشور.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث – أو في أول من بعث – فإذا موسى – عليه السلام – آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي»(2)

والصعقة يوم الطور التي ذكرناها حين: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

و"إسرافيل" – عليه الصلاة والسلام – هو أحد الملائكة المقربين، وهو الموكل بالنفخ بالصور على قول جماهير أهل العلم، وكما ذكرنا أن بعض أهل العلم ذكر أنها: ثلاث نفخات.

---

(1) – صحيح الترمذي (٣٢٤٣)

(2) – أخرجه البخاري (٣٤١٤، ٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣)

قالوا: النفخة الثانية هي نفخة الثالثة: هي نفخة الفزع: قال – تعالى –: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧]

ثم قال الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – قال:

قـــال الإلَـــه : قِفـــوهم للســـؤال لكـــي *** يقتـــصَّ مظلُـــومُهم مِـــمَّن لـــه قَهَـــرَا
فيوقَفـــون ألـوفـــاً مـــن سنينهـــمُ *** والشمـــسُ دانيـــةٌ والرَّشْـــحُ قـــد كثُـــرَا
وجـــاء ربُّـــك و الأمـــلاكُ قاطبـــة *** لهـــم صفـــوفٌ أحاطـــت بـــالورى زُمـــرَا
وجـــيء يومئـــذ بالنـــار تسحبُـــها *** خزانهـــا فأهالـــت كـــلَّ مَـــن نظـــرَا
لهـــا زفيـــرٌ شـــديدٌ مـــن تغيظهـــا *** علـى العُصـاة وترمـي نحـوهم شـرَرَا

الله – سبحانه وتعالى – يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان: ١٢]

أو ذكر المصنف قبل ذلك قوله:

قِفـــــوهم للســـــؤال لكـــــي *** يقتـــصَّ مظلُـــومُهم مِـــمَّن لـــه قَهَـــرَا

وهنا ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – ما يحصل من القصاص من الظالم، والقصاص يحصل بأنواع وصنوف قد ذكرت في كتاب الله – تبارك وتعالى – في سنة النبي – ﷺ – كما قال النبي – ﷺ –: «حتى يقتص من الشاة»[1] يعني: إذا آذتها الشاة الأخرى.

فيحصل القصاص لكل من ظلم غيره، سواء إن كان ذلك من البشر أو كان ذلك من سائر الحيوان الذي خلقه الله – سبحانه وتعالى –

(1) – أخرجه مسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠)، وأحمد (٧٢٠٤) واللفظ له

وهذا القصاص الذي يحصل منه ما قد يكون بالحسنات فيكون بأخذ حسنات الظالم، وهذا جاء في صور، كما جاء في الذي يزني بامرأة المجاهد وكذلك الذي يغتاب ونحو ذلك، قال النبي – ﷺ– قال: «أتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار. قال النبي – ﷺ–: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات، ويأتي وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا أو كما قال – ﷺ–: فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته..»(1)أو كما قال – ﷺ–

وقوله: "قفواهم للسؤال" قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات: ٢٤]، فيسأل كل أحد يوم القيامة عما فعله في هذه الحياة الدنيا.

قال:

فيوقَفُــــون ألـوفـــــًا مـــــن سنينهـــــمُ *** والشمـــسُ دانيـــةٌ والرَّشْـحُ قـــد كثُـــرَا

ثبت في الأحاديث الصحاح أن الشمس يوم القيامة تدنو من رؤوس الخلائق في يوم مقداره ألف سنة، من هذه الأيام

أيام الحياة الدنيا قال الله – تبارك وتعالى –: {وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: ٤٧]

فتكون الأيام اليوم يساوي الألف سنة، فهي مدة كثيرة طويلة، ولا يعرف الإنسان، قد لا يتصور الإنسان قدر تلك المدة في هذه الحياة الدنيا، لكنها قد قدرها الله – سبحانه وتعالى – وكتبها وأوجدها – سبحانه وتعالى – وهو القادر – سبحانه وتعالى – وله في ذلك الحكمة البالغة.

فتدنو الشمس من رؤوس الخلائق ويكثر الرشح من الخلائق، حتى إن أحدهم ليلجمه العرق إلجامًا.

(1) – أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وأحمد (٨٤١٤) واللفظ له

قال – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

وجـــاء ربُّـــك و الأمـــلاكُ قاطبـــة *** لهـم صفـوفٌ أحاطـت بـالورى زُمـرَا
وجـــيء يومئـــذ بالنـــار تسحبُـــها *** خزانهـــا فأهالـــت كـــلَّ مَـــن نظـــرَا
لهـــا زفيـــرٌ شـــديدٌ مـــن تغيظهـــا *** علـى العُصـاة وترمـي نحـوهم شـرَرَا
ويرسـل الله صُـحف الخلـق حاويـةً *** أعمـالَهم كـلَّ شـيء جـلَّ أو صـغُرَا
فمَـــن تلقَّتـــه بـــاليمنى صـــحيفتُه *** فهْـو السَّـعيد الـذي بـالفوز قـد ظفـرَا
ومـــن يكـــن باليـــد اليســـرى تناوُلهـــا *** دعـــا ثُبـــوراً وللنيـــران قـــد حُشـــرَا

ووزنُ أعمـــالهم حـــقٌّ فـــإن ثقلـــت *** بـــالخير فـــاز وإن خفَّـــت فقـــد خســـرَا
وأنَّ بالمثـل تُجـزى بالسـيِّئات كمـا *** يكـون في الحسـنات الضِّـعف قـد وفـرَا
وكـــلُّ ذنـــب ســـوى الإشـــراكِ يغفـــرُه *** ربِّـي لِمَـن شـا ولـيس الشـركُ مُغتفـرَا
وجنَّـــة الخُلـــد لا تفنـــى وســـاكنُها *** مخَّلـدٌ لـيس يخشـى المـوتَ والكـبرَا

أعـــدهَّا اللهُ داراً للخلـــود لِمَـــن *** يخشـى الإلَـهَ وللنَّعمـاء قـد شـكرا
وينظـــرون إلـــى وجـــه الإلـــه بهـــا *** كما يـرى النـاس شـمسَ الظهـر والقمـرَا
كـــذلك النـــارُ لا تفنـــى وســـاكنُها *** أعـــدَّها الله مولانـــا لمَـــن كفـــرَا
ولا يخلـــد مَـــن يوَحِّـــدُه *** ولـو بسـفك دم المعصـوم قـد فَجَـرَا

الشرح:

ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – هنا مسائل وقوله:

وجـــاء ربُّـــك و الأمـــلاكُ قاطبـــة *** لهـم صفـوفٌ أحاطـت بـالورى زُمـرَا

كما قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢]

المقصود أن الله – تبارك وتعالى – يأتي يوم القيامة – سبحانه وتعالى – وهو مجيء حقيقي آمن به أهل السنة واعتقدوه وأنه – سبحانه وتعالى – يجيء لأجل الفصل بين الخلائق والقضاء بينهم، والملائكة صفوف يصفون صفًّا صفًّا، وهذا من تعظيم الله – تبارك وتعالى – وإجلاله في مثل هذا

اليوم المهيب، العظيم، الذي فيه يوقف الخلائق لأجل السؤال والحساب من الله – تبارك وتعالى –

وفي مثل هذا الموقف المهيب يؤتى بالنار تسحب وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي – ﷺ – : «أنه يؤتى بجَهَنَّمَ يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[1] كما أخرجه مسلم في الصحيح.

فلك أن تتخيل حجم هذه النار التي لها سبعون ألف زمام، وفي كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

لا شك أنها مهيبة عظيمة، كبيرة، وهذه النار تكون نارًا تهيل الناظر، وإذا رأى إليها الناظر فإنه يحصل له من الهول والفزع ما يحصل بسبب حجم تلك النار وما فيها من تغيظ وزفير، وأصوات تخرج من تلك النار.

والزمام المراد بالزمام هو الحبل الذي تسحب به تلك النار، وكيف يكون هذا الحال؟!

قلنا: هذا من علم الغيب الذي لم يطلعنا الله – سبحانه وتعالى – عليه، فهذا فيه طريقة أهل السنة في عدم سؤالهم عن الكيف.

قال:

لهـــا زفيـــرٌ شـــديدٌ مـــن تغيظهـــا *** علـى العُصـاة وترمـي نحـوهم شـرَرَا

يقول الله –تعالى –: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]

أي: إذا رأت العصاة والكفار والمكذبين من مكان بعيد سمعوا أصوات غليانها وزفيرها من شدة تغيظها عليهم.

ثم قال:

ويرسـل الله صُـحف الخلـق حاويـةً *** أعمـالَهم كـلَّ شـيء جـلَّ أو صـغُرَا

فمَـــن تلقَّتـــه بـــاليمنى صـــحيفتُه *** فهْـو السَّـعيد الـذي بـالفوز قـد ظفـرَا

(1) – صحيح مسلم (٢٨٤٢)

ومـــن يكـــن باليـــد اليســـرى تناوُلهـــا *** دعـــا ثُبـــوراً وللنيـــران قـــد حُشـــرَا

"الصحف" جمع "صحيقة".

وأهل السنة يؤمنون بأن الملائكة تكتب كل ما الناس فاعلون في هذه الحياة الدنيا، ثم تنشر هذه الصحف يوم القيامة إذا جاء بعد البعث تنشر هذه الصحف على الناس، فمن الناس من هو آخذ كتاب بيمينه، ومنهم من هو آخذ كتابه بشماله.

يكتب في هذا الكتاب كل شيء يفعله الإنسان من خير ومن شر، ويحاسب ويجازى على ذلك، قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق: ١٨]

وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف: ٤٩]

ويقول الله – عز وجل –: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ ﴾[التكوير: ١٠]

و"الصحف" يراد بها" دواوين الأعمال التي يكتب بها جميع أعمال بني آدم.

يقول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء:١٣-١٤]

ويؤمن أهل السنة بدلالة هذه الآية بأنَّ كل إنسان يقرأ كل ما يكون قد عمله في هذه الحياة الدنيا فيكون حسيبًا على نفسه قد كان كما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٤]

فيطلع على جميع أعماله، ويتذكر كل الأعمال، التي كانت قد كتبت في هذه الصحيفة.

وهذه الكتابة تحصل في الحياة الدنيا كما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الإنفطار:١٠-١٢]

وكما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٧-١٨]

ويقول رسول الله – ﷺ –: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله – عز وجل –»[1].

يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة:١٩-٣١] الآيات.

نسأل الله – تبارك وتعالى – أن يعافينا من ما في ذلك اليوم من الأهوال، وأن يخفف علينا الحساب، والسؤال منه – سبحانه وتعالى –

ثم قال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

ووزنُ أعمـــالهم حـــقٌّ فـــإن ثقلـــت *** بـــالخير فـــاز وإن خفَّـــت فقـــد خســـرَا

وأنَّ بالمثـــل تُجـــزى بالســـيِّئات كمـــا *** يكـــون في الحســـنات الضِّـــعف قـــد وفـــرَا

انتقل – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – إلى وزن الأعمال، وأهل السنة يؤمنون بأن الأعمال، أعمال العباد توزن، كما قال الله – تبارك وتعالى – في كتابه الكريم: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وقال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]

---

(1) – أخرجه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩)

فالميزان هو ميزان حقيقي، وهو ميزان توزن فيه الأعمال، توزن أعمال الناس، وكذلك يوزن الناس أنفسهم، ولذلك هذا مما خالفت فيه جمع من المتكلمين واثبته أهل السنة، كما صحت بذلك النصوص، أو ثبتت النصوص في القرآن، وفي سنة النبي – ﷺ – قد ثبت في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1].

فقوله – ﷺ –: «ثقيلتان في الميزان» دليل على صحة الاعتقاد بوجود الميزان، وأن الأعمال توزن، والمقصود بالميزان هو ما يكون فيه كفتان توزن الأعمال أعمال العباد خيرها وشرها، فمن ترجح أعمال الخير عنده، فهو من السعداء، ومن ترجح عنده أفعال وأعمال الشر فهو ممن خفت موازينه.

لذلك كما قلنا: أهل السنة يؤمنون بصحة ذلك وبوجود الميزان وأن أعمال العباد توزن، وأن العباد يوزنون في ذلك الميزان.

ثم قال الناظم:

وكـلُّ ذنـب سـوى الإشـراكِ يغفـرُه ❊❊❊ ربِّـي لِمَـن شـا ولـيس الشـركُ مُغتفـرَا

كما أن نقول: أن التوحيد يكون في الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات؛ كذلك يكون الشرك في الألوهية والربوبية، وفي الأسماء والصفات.

والشرك باختصار هو اتخاذ شريك مع الله – تبارك وتعالى – في ألوهيته، أو في ربوبيته، أو في أسمائه وصفاته، وإن شئت قلت: هو صرف شيء من خصائص الله – تبارك وتعالى – لغير الله – تبارك وتعالى –

(1) – أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤)

لذلك المشرك ظالم لنفسه لإيقاع هذا الشرك، فاعل للظلم فيما بينه وبين ربه؛ فإن العادل لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، ولذلك يقول البطال المالكي – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

وإنما سمَّ الله الشرك ظلمًا لأن الظلم عند العرب وضع الشيء في غير موضعه؛ لأنه كان يجب عليه الاعتراف بالعبودية والإقرار بالربوبية لله – تعالى – انتهى كلامه.

الشرك ينقسم إلى أربعة اقسام كما ذكر أهل العلم:

شرك الإرادة والنية والقصد. هذا الأول.

شرك الدعاء أو شرك الدعوة. هذا الثاني.

الثالث: شرك المحبة.

الرابع: شرك الطاعة.

فأي شرك وقع من العبد سواء إن كان في النية والإرادة والقصد أو كان في الدعاء يعني: دعا غير الله – تبارك وتعالى – أو جعل غير الله – تبارك وتعالى – مساويًا له في المحبة، أو يحب غير الله – تبارك وتعالى – أكثر من الله – عز وجل – فهذا من الشرك.

أو أنه أشرك في الطاعة فاعتقد أن غير الله – تبارك وتعالى – له أن يحل الحرام، أو له أن يحرم الحلال.

هنا من أهل العلم من يزيد أقسام أخرى:

كشرك الخوف، وشرك الرجاء، وشرك التوكل.

لكن المقصود هنا أن الشرك بالله – تبارك وتعالى – أنه إذا حصل من العبد فإنه لا يدخل الجنة، ولا يغفر الله – تبارك وتعالى – له، قال الله – عز وجل –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]

قال الناظم:

وجنَّـــة الخُلـــد لا تفنـــى وســـاكنُها *** مخَّلـدٌ لـيس يخشـى المـوتَ والكـبرَا

أعـــدهَّا اللهُ داراً للخلـــود لِمَـــن *** يخشـى الإلَـهَ وللنَّعمـاء قـد شـكرا

ذكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – هنا في هذه الأبيات وهي خمسة أبيات فاتنا التعليق عليها، قال:

وجنَّـــة الخُلـــد لا تفنـــى وســـاكنُها *** مخَّلـدٌ لـيس يخشـى المـوتَ والكـبرَا

الجنة والنار يؤمن أهل السنة بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان أعد الله – سبحانه وتعالى – كل منهما لأهلها، الجنة لها أهل، والنار لها أهل، فأهل الجنة هم الذين آمنوا بالله – سبحانه وتعالى – وكانوا على التوحيد، وأهل النار هم الذين كانوا على غير التوحيد أو كانوا على مخالفة أمر رسول الله – ﷺ – من المعاصي والذنوب التي زاد فيها ورجح فيها ميزان المخالفة والمعصية لهم عن ميزان الطاعة لله – تبارك وتعالى – فكان دخولهم في النار أو إلى النار تطهيرًا لهم وعقوبة من الله – سبحانه وتعالى – لأجل أن يطهروا من تلك الذنوب، وتلك المعاصي لمخالفتهم أمر الله – سبحانه وتعالى –

فهنا قضية مهمة وهي:

أولاً: أهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن في وقتنا هذا، نحن نقول الآن موجودتان وليستا مما سيخلقه الله – سبحانه وتعالى – فيما بعد، وهذا الذي صرَّحت به نصوص القرآن، ونصوص السنة، فالجنة أعدَّها – سبحانه وتعالى – للمتقين، والنار أعدَّها الله – سبحانه وتعالى – للظالمين وللكافرين.

يقول – رَحِمَهُ اللَّهُ –: مخَّلدٌ ليس يخشى الموتَ والكبرَا

قال الله – سبحانه وتعالى – في الجنة لأهلها: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء:١٣]

وقال الله – سبحانه وتعالى – في النار في أهلها: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [النساء: ١٦٩]

فهؤلاء لهم أهل، وهؤلاء لهم أهل، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: «يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش بين الجنة والنار، فيُذبح، فيقال:..»[1]

يعني: «هذا الموت».

فيشرئبون: يشرئب أهل الجنة وأهل النار، يشرئبون يعني: يطيلون أعناقهم لينظرون.

«فيقال: هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»

فيخلَّد أهل الجنة في الجنة، ويخلَّد أهل النار في النار.

لكن يخرج من النار أقوام كما ثبت في الحديث الصحيح حديث الشفاعة أقوام قد امتحشوا فيخرج أهل الإيمان يخرجون بشفاعته، ويخرج الأنبياء بشفاعتهم، النبي – ﷺ – له شفاعة – صلوات الله وسلامه عليه – أيضًا فيخرجون بشافعتهم من النار، ثم يقول الله – تبارك وتعالى – كما ثبت في الصحيح: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم تبقَ إلا شفاعة أرحم الراحمين»[2].

كذا جاء في الحديث.

والله – سبحانه وتعالى – لا يشفع عنده، أو لا يشفع الله – سبحانه وتعالى – عند غيره، وإنما المراد أن الله – سبحانه وتعالى – يخرج هؤلاء من – سبحانه وتعالى – من النار، جاء في الحديث: «فيقبض قبضة من النار فيخرجهم قد امتحشوا..» فيُجعلون في نهر يقال له نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة من حميل السيل، وبعد ذلك يطهرون ويدخلون جنة الفردوس.

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعلني وإياكم من أهلها.

قال:

كـــذلك النـــارُ لا تفنـــى وســـاكنُها *** أعـــدهَّا الله مولانـــا لمَـــن كفـــرَا

---

(1) – العواصم من القواصم (٢٣٥) • صحيح

(2) – صحيح مسلم(١٨٣)

ولا يخلـــــــد مَـــــــن يوَحِّـــــــدُه ❊❊❊ ولــو بســفك دم المعصــوم قــد فَجَــرَا

النار لا تفنى في العموم، لكن ذكر أهل العلم أن النار التي تفنى هي نار الموحدين، إذا أخرج الموحدون، فيخرجهم الله – سبحانه وتعالى – من تلك النار، فذكر بعض أهل العلم، والمسألة خلافية بين أهل السنة في فناء النار التي هي خاصة بالموحدين.

فذكر بعض أهل العلم بأن فناء النار الخاص بالموحدين أنها هي التي تفنى.

قال:

ولا يخلـــــــد مَـــــــن يوَحِّـــــــدُه ❊❊❊ ولــو بســفك دم المعصــوم قــد فَجَــرَا

وهذا بما يتعلق بخروج الموحدين، وفي ذلك أحاديث كثيرة منها حديث الشفاعة الذي ذكرناه، وكل موحد لله – تبارك وتعالى – ولابد وأن يدخل الجنة، ولو بعد أمد.

قال:

وكــم يُنجــي إلَهــي بالشــفاعة مِــنْ ❊❊❊ خيــر البريِّــة مــن عــاص بِهــا ســجرًا

كذلك في نفس المعنى الذي ذكرناه من حديث الشفاعة.

أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فوصلنا إلى الفصل الذي ذكره المصنف – رَحِمَهُ اللَّهُ – في ذكر الحوض، أو في ذكر الإيمان بالحوض، وتكلم – رَحِمَهُ اللَّهُ – تحت هذا الفصل بمسائل عدة، ومما ذكره – رَحِمَهُ اللَّهُ – تحت هذا الفصل مسائل تتعلق بالإيمان، ومنزلة الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – وذكر بعد ذلك اتباع النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

المتن:

قال الماتن – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

فصل في الإيمان بالحوض

وأنَّ للمصطفى حوضًا مسافتُه *** ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذكرَا
أحلَى من العسل الصافي مذاقتُه *** وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجوم تُرَى
ولم يَرِدْه سوى أتباع سُنَّته *** سيماهم : أن يُرى التَّحجيل والغُرَرَا

وكم يُنحَّى ويُنفَى كلُّ مبتدع * عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا الغيرَا**
وأن جسرًا على النِّيران يَعبُرُه *** بسرعة مَن لمنهاجِ الهُدى عبَرَا
وأنَّ إيْمَانَنَا شرعًا حقيقتُه *** قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للذي أمرَا
وأنَّ معصيةَ الرحْمن تُنقصُه *** وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجوم تُرَى
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ *** من الهُداة نجوم العلم والأُمرَا
إلاَّ إذا أمروا يومًا بمعصية *** من المعاصي فيُلغى أمرهم هَدَرَا
وأنَّ أفضلَ قرن للَّذين رأوا *** نبيَّنا وبهم دينُ الهُدى نُصرَا

أعِنـــي الصـــحابةَ رُهبـــانٌ بلـــيلهمُ *** وفي النهـار لـدى الهّيْجَـا لُيـوث شَـرَى
وخيــرُهم مَــن ولِــي مــنهم خلافتــه *** والسَّـبق في الفضـل للصِّـدِّيق مـعْ عُمَـرَا
والتـــابعون بإحســـان لهـــم وكـــذا *** أتبـاع أتبـاعهم مِمَّـن قفـى الأثَـرَا
وواجــبٌ ذِكــرُ كــلّ مــن صــحابته *** بـالخير والكـفُّ عمَّـا بيـنهم شَـجَرَا
فـلا تخُـض في حـروب بيـنهم وقعـت *** عـن اجتهـاد وكـنْ إن خُضتَ معتـذِرَا
والاقتــداءُ بهــم في الــدِّين مفتَــرَضٌ *** فاقَتــد بهــم واتَّبــع الآثــار والسُّــوَرَا
وتــركُ مــا أحدثــه المُحــدِثون فكــم *** ضــلالة تبعــت والــدِّين قــد هُجِــرَا
إنْ الهُـدى مـا هـدى الهـادي إليـه ومـا *** بــه الكتــاب كتــاب الله قــد أمَــرَا
فــلا مــراء ومــا في الــدِّين مــن جــدلِ *** وهــل يُجــادل إلاَّ كــلُّ مَــن كفــرا
فهــاك في مــذهب الأســلاف قافيــةً *** نظمًـا بـديعًا وجيـزَ اللَّفـظ مختصـرًا

يحـوي مهمّـات بـاب في العقيـدة مـن *** رسـالة ابـن أبـي زيـد الـذي اشـتهرَا
والحمـــــد لله مولانـــــا ونســـــأله *** غفـران مـا قـلَّ مـن ذنـب ومـا كثـرَا
ثـمَّ الصـلاةُ علـى مَـن عـمَّ بعثتـه *** فأنـــذر الثَّقلـــين الجـــنّ والبَشَـــرَا
ودينُـــه نَسَـــخ الأديـــانَ أجمَعَهـــا *** ولـيس يُنْسَـخُ مـا دام الصَّـفَا وحِـرَا
محمـــد خيـــر كـــلِّ العـــالَمين بِـــهِ *** خـتم النبيِّـين والرُّسـل الكـرام جَـرَا

ولـيس مـن بعـده يـوحَى إلـى أحـد *** ومـــن أجـــاز فحَـــلَّ قتلُـــه هَـــدَرَا
والآلِ والصَّـحبُ مـا ناحـت علـى فـنَن *** وَرْقَـا ومَـا غـرَّدت قُمْريّـة سَـحَرَا

الشرح:

هذا الفصل ختم به المصنف – رَحِمَهُ اللَّهُ – هذا النظم،

فيقول فيه – رَحِمَهُ اللَّهُ –: فصل في الإيمان بالحوض

وكما ذكرنا انه سمَّ هذا الفصل بهذا الاسم، وذكر تحته مسائل تتعلق..، مسائل متفرقة تتعلق بالإيمان، وتتعلق بمنزلة الصحابة، واتباع النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومسائل أخرى سيأتي ذكرها بحول الله – تعالى –

قال:

وأنَّ للمصطفى حوضًا مسافتُه *** ما بين صَنْعَا وبُصرَى هكذا ذكرَا

أحلَى من العسل الصافي مذاقتُه *** وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجوم تُرَى

ولم يَرِدْه سِوى أتباع سُنَّته *** سيماهم : أن يُرى التَّحجيلُ والغُرَرَا

وكم يُنحَّى ويُنفَى كلُّ مبتدع *** عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا الغيرَا

في هذه الأبيات ذكر الناظم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الإيمان بالحوض.

وقوله – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

"حوضًا" قال الأزهري:

معنى "حَيَّضَتْ" أي: سيَّلَتْ.

قلتُ: ومن هذا قيل "للحوض" حوض الماء؛ لأن الماء يحيض إليه أي: يسيل.

وقوله: "مسافته" أي: طوله ما بين طرفيه.

وقوله: "صنعا" صنعاء وهي: المدينة المعروفة باليمن.

و"بُصْرى" هي: مدينة بالشام.

النبي –ﷺ– أخبرنا بأنَّ له حوضًا، وأهل السنة يؤمنون بأن للنبي –ﷺ– حوضًا، وأنَّ لكل نبي من الأنبياء حوض له، ونبينا –ﷺ– أكرمه ربه – سبحانه وتعالى – بهذا الحوض، فأخبرنا رسول الله –ﷺ– عن وصف الحوض، وعن وصف كيزانه.

والكيزان هي: الأواني.

وأخبرنا عن مائه: «وأنه أطيب من اللبن وأحلى من العسل».

وأخبرنا رسول الله –ﷺ– عن طوله وعرضه كما سيأتي ذكره بحول الله – سبحانه وتعالى –

والواجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء عن رسول الله –ﷺ– على وفق ما جاء عن رسول الله –ﷺ– وعلى ظاهر ما جاء عن رسول الله –ﷺ– وهكذا هي عقيدة أهل السنة من لدن أصحاب النبي –ﷺ– ومن سار واقتفى أثره –ﷺ– من أصحابه –رضي الله عنهم– واتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فمما جاء عن رسول الله –ﷺ– قوله فيما أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قال النبي –ﷺ–: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»[1].

وعند مسلم من حديث أبي ذر: «من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمّان إلى أيله، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»[2].

النبي –ﷺ– أخبر في هذا الحديث بعدة أمور، أو في هذين الحديثين بعدة أمور عن حوضه –ﷺ– فأخبر عن مسافته وهي: الطول والعرض.

قال: «مسيرة شهر»

وسيأتي مزيد كلام على المسافة والطول والعرض.

---

(1) – أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢)

(2) – أخرجه مسلم (٢٣٠٠)

قال: «وماؤه أبيض من اللبن».

وهذا يدلك على النقاء والصفاء لهذا الماء.

«وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء».

قال أهل العلم: أي: في العدد كثرة.

«من شرب منها فلا يظمأ أبدًا».

أي: من شرب شربة من هذا الحوض فإنه لا يظمأ أبدًا.

هذا الحديث ذكر فيه النبي –ﷺ– هذا الوصف لحوضه، وجاء الحديث الآخر الذي ذكرناه حديث أبي ذر –رضي الله عنه–: «عرضه مثل طوله».

وسيأتي مزيد تفصيل فيه.

وأخبر النبي –ﷺ–: «أنه أحلى من العسل».

لا شك أنَّ الدنيا والآخرة قد تشترك هنالك بعض الأشياء في الأسماء، وتختلف في الأوصاف وفي الحقائق، كما قد يختلف اللبن في الدنيا عن اللبن في الآخرة، والعسل في الدنيا عن العسل في الآخرة، والماء في الدنيا عن الماء في الآخرة من وجوه شتى يطول ذكرها ليس ذلك في هذا المقام.

وجاء في حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أنه سمع رسول الله –ﷺ– يقول: «حوضي كما بين عدن وعمّان، أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس عليه وروداً صعاليك المهاجرين فقال قائل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: الشَّعِثَة رؤوسهم، الشحبة وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا يفتح لهم الدسن، ولا ينكحون المتنعمات، الذين يعطون كل ما عليهم، ولا يأخذون الذي لهم»[1] هذا اخرجه أحمد – رحمه الله–

(1) – أخرجه أحمد (٦١٦٢)، والطبراني (١٣/ ٣١٣) (١٤١٠٤)

والمراد هنا بهم الفقراء، لا أن هذا أمر مطلوب أن الإنسان يكون شعث الرأس، شاحب الوجه، دنس الثياب، وأن يكون ممن لا تفتح له السدد فلا فلا يتقرب إلى لا تفتح له الأبواب، ولا أنه يكون من الذين ينكحون المتنعمات.

ليس هذا مطلبًا ومقصدًا، ولكن هذا أخبر به النبي –ﷺ– عن أول من يدخل أو أول من يشرب من حوض النبي –ﷺ–

وجاء كذلك في ذكر ما يحصل لمن يشرب من حوض النبي –ﷺ–: أنه «لا يظمأ»

وفي حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – عند أبي حبان: أنه لا يسود وجهه،

وفيه: «ولم يسود وجهه أبدًا».

كذلك مما جاء في هذا الحديث أو في أحاديث الحوض إخبار النبي –ﷺ– أنَّ هذا الحوض له طول وعرض، اختلف أهل العلم في تقدير ذلك الطول والعرض، وهذا مما استمسك به بعض الطاعنين في إثبات الحوض، والإيمان بالحوض لرسول الله –ﷺ– لأن الأحاديث قد اختلفت في ذكر ذلك.

فجاء: «كما بين عدن وعمّان».

جاء «كما بين أيلة ومكة».

وجاء: «كما بين صنعاء وبُصرى».

وجاء أيضًا: «كما بين صنعاء والمدينة».

وجاءت أحاديث: « كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ».

وغيرها من الأحاديث التي جاءت عن النبي –ﷺ– فأحاديث كثيرة جاءت، ومن أهل العلم من عارض بين تلك الأحاديث، وخصوصًا أن بعض الأحاديث المسافة المذكورة فيها مسافة يسيرة

جدًّا، وبعضها مسافة كبيرة جدًّا كما جاء في حديث عبد الله بن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – في البخاري عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح»[1]

وجرباء وأذرح مدينتان متقاربتان من بلاد الأردن من أعمال البلقاء.

وجاء في حديث أنس بن مالك – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء» من اليمن.

وهذا أيضًا فيه مسافة كبيرة جدًّا: «ما بين أيلة وصنعاء».

وجاء كذلك الحديث فيه عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «كما بين المدينة وصنعاء»

وهذا مختلف كذلك في المسافة، وهنالك بعض المسافات التي ذكرت في بعض الأحاديث هي مسافات متقاربة؛ المسافة كالمسافة التي جاءت "ما بين المدينة وصنعاء"، "وما بين المدينة وجرباء وأذرح"، "المدينة وعمّان"، "وما بين مكة وأيلة" هذه كلها مسافات متقاربة.

لكن هنالك فرق في المسافة "ما بين بُصْرى وصنعاء" وكذلك "ما بين أذرح وجرباء" لأن أذرح وجرباء قريتان متقاربتان جدًّا من أعمال البلقاء.

وجاء في صحيح مسلم عن عبيد الله أنه قال: فسألته – يعني: نافعًا – فقال – يعني: عن جرباء وأذرح – فقال: قريتان بالشام وبينهما مسيرة ثلاثة أيام.

لكن هنالك جاء في رواية الدارقطني وغيره كما ذكر ذلك العلائي قال: ثبت المقدر محذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح».

كأن المسافة هي: ما بين المدينة وجرباء، أو ما بين المدينة وأذرح؛ لأن جرباء وأذرح متقاربتان جدًّا، والقريتان صغيرتان لازالتان موجودتان حتى يومنا هذا.

والمسافة التي "ما بين صنعاء وبُصرى" قلنا هي: تزيد عن الضعف المسافة "ما بين المدينة وعمّان"، و"المدينة وجرباء" تزيد تقريبًا على ضعف تلك المسافة، والله أعلم.

---

(1) – صحيح البخاري(٦٥٧٧)

لكن بعض الأحاديث تفسر بعضها بعضًا، لكن الأحاديث هذه التي جاءت فيها اختلاف المسافة لا تطعن بحال في إثبات الحوض لأن الحوض قد وردت به الأحاديث وتواترت عن رسول الله – ﷺ–

من المسائل كذلك التي تذكر تحت الإيمان بالحوض أن هنالك أُناس يذادون عن حوض النبي – ﷺ– لما يحصل منهم من التغيير في دين الله – تبارك وتعالى – إما بإحداث البدع، أو الردة عن دين الله – تبارك وتعالى – أو أنهم من المنافقين – والعياذ بالله عز وجل – وقد جاء في أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ– أنه قال: « بَيْنا أنا قائِمٌ إذا زُمْرَةٌ، حتّى إذا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِن بَيْنِي وبَيْنِهِمْ، فقالَ: هَلُمَّ، فَقُلتُ: أيْنَ؟ قالَ: إلى النّارِ واللهِ، قُلتُ: وما شَأْنُهُمْ؟ قالَ: إنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ على أدْبارِهِمُ القَهْقَرى. ثُمَّ إذا زُمْرَةٌ، حتّى إذا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِن بَيْنِي وبَيْنِهِمْ، فقالَ: هَلُمَّ، قُلتُ أيْنَ؟ قالَ: إلى النّارِ واللهِ، قُلتُ: ما شَأْنُهُمْ؟ قالَ: إنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ على أدْبارِهِمُ القَهْقَرى، فلا أُراهُ يَخْلُصُ منهمْ إلّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ. »[1]. أخرجه البخاري.

قال أبو الوليد الباجي في "المنتقى": وقوله – ﷺ–: «أناديهم: ألا هلمَّ، ألا هَلُمَّ، ألا هَلُمَّ» يحتمل هذا أن المنافقين والمرتدين وكل من توضأ منهم مسلمًا فإنه يحشر بالغرة التحجيل من أثر الوضوء ولذلك يدعوهم النبي – ﷺ– ولو لم يكن سيماهم سيما المسلمين لمّا دعاهم، ويعرف أنهم ليسوا مما يرد حوضه، وإنما يدعوهم لما يرى بهم من سيما أمته، فإذا علم أنهم بدلوا بعده قال: «فسُحْقًا» أي: بُعدًا لهم.

معنى بدلوا: غيَّروا سنتك.

ويحتمل أن يكون ذلك لمن رأى النبي – ﷺ– فبدل بعده من أهل الردة، ويحتمل أن يكون ممن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

طبعًا جاءت مسائل أخرى في الحوض ولعلنا نعرج عن ذكرها.

---

(1) – صحيح البخاري(٦٥٨٧)

ولكن هنا ننبه على قضية مهمة وهي:

أن العبد يجب عليه أن يحذر كل الحذر من البدع، والمحدثات في الدين، والنكوص عن دين الله – تبارك وتعالى – لأن ذلك يترتب عليه الطرد والابعاد عن حوض رسول الله – ﷺ – وما في ذلك من القرب من رسول الله – ﷺ – ويكفي بالعبد أن يعلم خطر ذلك لما أوردناه من الأحاديث والله أعلم.

ثم قال:

وأن جسراً على النِّيران يَعبُرُه *** بسرعة مَن لمنهاجِ الهُدى عبَرَا

ذكر في هذا البيت الإيمان بالصراط..

فقوله: "النيران" جمع نار.

وقوله: "يعبره" يعني: يمر عليه.

وقوله: "لمنهاج" المنهاج والمنهج والنهج تقول: منهج الطريق أي: وَضَحَهُ.

قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]

وأنهج الطريقُ: وضح واستبان.

قال الشاعر:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجَ *** سبل المكان والهدى تُعْدي

وقال بعضهم: "تُغْني".

وقال بعضهم: "بعدي".

وقوله: "لمنهاجِ الهُدى عبَرَا"

أي: لمن تمسك بسنة النبي – ﷺ – الذي يتمسك بسنة النبي – ﷺ – يعبر ذلك الصراط.

والصراط هو جسر يكون على متن جهنم يوم القيامة، يعبره أهل الإيمان، يعبرون من أرض المحشر والظلمة التي يكونون فيها إلى المنطقة التي تكون قبل جنة الخلد.

أسأل الله أن يدخلنا وإياكم إياها..

فقد جاء وصف الصراط في حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – فيما أخرجه البخاري ومسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم

قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟

قال: «مدحضة مزِلَّة» أو «مَزَلَّة» بالكسر والفتح.

عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عُقيفاء، تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناجٍ مخدوش، ومكدوس في نار جهنم»[1] الحديث متفق عليه.

هذا تفصيل في وصف هذا الجسر، وهذا الصراط، وأهل السنة يؤمنون بهذا الصراط على حقيقته كما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في وصفه لهذا الصراط، ومن أهل العلم من يفسر هذا الورود الذي جاء في القرآن بأنه الورود على الصراط:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٧١]

فقالوا هذا هو الورود على الصراط.

فأهل السنة يردون ويعبرون وهنالك من يأتي على الصراط وبعد ذلك تخطفه الخطاطيف والكلاليب نسأل الله السلامة والعافية.

وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الجسر وهذا الصراط في هذا الحديث، فقوله – صلى الله عليه وسلم –: «مدحضة مزِلة» يقول القاسم بن سلام: الدحض الزلق.

---

(1) – صحيح البخاري(٧٤٣٩) ، صحيح مسلم(١٨٣)

والمزِلة والمزَلة مثله لغتان، فهو زَلِق ولا يسهل المشي عليه.

ومما يؤكد أنه لا يسهل المشي عليه قول النبي – ﷺ–: «والصراط كحد السيف دحض مزلة»[1]

نسأل الله السلامة والعافية.

وقال سلمان الفارسي: «ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة من يجيز على هذا؟!

فيقول: من شئت من خلقي.

فيقولون: ما عبدناك حق عبادتك»[2].

وهذان الحديثان أخرجهما الحاكم في المستدرك.

وهذا الحديث حديث سلمان له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي.

وأما قول النبي – ﷺ–: «عليه خطاطيف» جمع: خطّاف.

قال الخليل: والخطّاف حديدة حجناء في جانبي البكرة فيهما المحور.

قال النابغة:

خطـــــاطيف حُجـــــن في حِبـــــال *** متينـــة تمـــد بهـــا أيـــدٍ إليـــك نـــوازع

وقال القاضي عياض:

قوله في الصراط وعليه خطاطيف هو جمع خطاف، وهو الكُلّاب كما قال في الحديث الآخر كلاليب.

وقال ابن الأثير: وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يُخْتطف بها الشيء.

والكلاليب جمع كلوب، وكُلاب وهو بمعنى: الخطاف.

---

(1) – صحيح الترغيب (٣٦٢٩)

(2) – السلسلة الصحيحة (٩٤١)

أنت تتخيل هذا الصراط وهذا الجسر على ظهر جهنم، أحدُّ من السيف وهو عليه خطاطيف، وسيأتي أن ما قبله ظلمه، وأن كل إنسان يكون معه من النور بحسب إيمانه.

نسأل الله السلامة والعافية..

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة – رضي الله عنهما – عن النبي – ﷺ –: «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به»[1].

وقوله – ﷺ – في الحديث المتفق عليه: «وحسكة» بفتح الحاء والسين المهملتين، وجمعها "حسك"

قال في "التهذيب":

الحسك: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ منه من حديد وهو من آلات الحرب.

وقوله: «مفلطحة» قال ابن الأثير: المفلطحة الذي فيه عرض واتساع.

وقول النبي – ﷺ –: «عُقيفاء» قال ابن سيده في "المحكم":

العقيفاء نبتة ورقها مثل ورق السداد لها زهرة حمراء، وثمرة عطفاء، كأنها شص فيها حب وهي تقتل الشاء، ولا تضر الإبل.

قوله: «السعدان» قال الخليل:

والسعدان مستدير شوكه في وجهه.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – ﷺ – «وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أن لا يعلم قدر عظمها إلا الله»[1]

---

(1) – صحيح مسلم(١٩٥)

نسأل الله السلامة والعافية..

وقوله – ﷺ–: «فناجٍ مخدوش، مكدوش في نار جهنم»

جاء في اللفظ الآخر: «فناجٍ مسلم، ومخدوش مُكْلَم، ومكردس في النار»[2] الحديث متفق عليه.

"الناجي المسلم" هو: الذي لم يصبه شيء من تلك الخطاطيف والكلاليب.

و"المخدوش المكلم" كما قال ابن الأثير: خدش الجلد قشره بعود أو نحوه.

و"المكلم" هو: المجروح.

ويكون قبل الصراط ظلمة كما ثبت في الحديث حين سئل النبي – ﷺ–: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟؟

قال: «هم في ظلمة دون الجسر»[3].

ويكون لكل إنسان أمامه في تلك الظلمة بقدر إيمانه، كما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم: ٨]

وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سأل جابرًا عن الورود قال: سمعت رسول الله – ﷺ– يقول: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فيدع بالأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا – عز وجل – بعد ذلك فيقول: ماذا تنتظرون؟

فيقولون: ننتظر ربنا – عز وجل – فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: حتى ننظر إليه.

قال: فيتجلى لهم وهو يضحك، ويعطي كل إنسان منهم منافق ومؤمن نورًا، وتغشاه ظلمة.

---

(1) – صحيح البخاري (٦٥٧٣)

(2) – رواه البخاري (7439)، ومسلم (183)

(3) – صحيح مسلم(٣١٥)

ثم يتبعونه معهم المنافقون على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك، يأخذون من شاء، ثم يُطْفأ نور المنافقين، وينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء، ثم ذلك حتى تحل الشفاعة»[1]. الحديث.

نسأل الله – سبحانه وتعالى – السلامة والعافية، ومجاوزة الصراط بمنه وكرمه.

وحسبك في تدبر ذلك قول النبي – ﷺ – في وصف العبور في ذلك اليوم، في قوله – صلوات الله وسلامه عليه –: «والأنبياء بجنبتي الصراط، وأكثر قولهم: اللهم سلِّم سلِّم»[2]

والنبي – ﷺ – أخبر في الحديث أن أكثر قوله – ﷺ –: «اللهم سلِّم سلِّم».

فإذا كان النبي – ﷺ – والأنبياء عمومًا يقولون: «اللهم سلِّم سلِّم، اللهم سلِّم سلِّم»

فماذا يقول أمثالنا؟! نسأل الله السلامة والعافية.

وتذكر أن هذا الصراط إنما يعبره من كان عابرًا في هذه الدنيا على سنة رسول الله – ﷺ – سائرًا على سنته – صلوات الله وسلامه عليه – أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على السنة، وأن لا يقلبنا إلا إلى سنة، وأن لا يقبضنا إلا على سنة.

قال:

وأنَّ إيْمَانَنَـــا شـــرعًا حقيقتُـــه *** قصـــدٌ وقـــولٌ وفعـــلٌ للـــذي أمـــرَا

وأنَّ معصـــيةَ الـــرحْمن تُنقصُـــه *** وأنَّ كِيزَانَـــه مثـــلُ النجـــوم تُـــرَى

ذكر في هذين البيتين الإيمان وقد سبق التعريف بالإيمان باختصار في مقدمة النظم، في شرح مقدمة النظم، ونزيد هنا الكلام على التعريف الشرعي عند أهل السنة، قال ابن أبي زيد في "رسالته": وأن "الإيمان" قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقص الأعمال، فيكون فيها النقصان، وبها الزيادة ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل.

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي:

---

(1) – أخرجه أحمد (١٤٧٢١) واللفظ له

(2) – رواه مسلم (183)

هذا الذي قاله هو مذهب أهل السنة والسلف الصالح.

وقال عبد الله بن نافع: كان مالك – رَحِمَهُ اللَّهُ – يقول:(الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص).

وقال ابن القاسم: (قلنا لمالك الإيمان قول وعمل؟ أو قول بلا عمل؟

قال: بل قول وعمل).

وقال ابن عبد البر: (وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، والطبري، ومن سلك سبيلهم فقالوا: الإيمان قول وعمل قول باللسان، وهو: الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع إخلاص بالنية الصادقة)[1]. انتهى كلامه – رَحِمَهُ اللَّهُ – من "التمهيد".

حاصل ما ذكرناه أن أهل السنة يعتقدون: أن الإيمان يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح.

ولابد من وجود الإيمان في القلب وفي اللسان وفي الجوارح.

ومن خلا إيمانه إما من قلب أو لسان أو من جوارح فإنه لم يأتِ بالإيمان الذي أمر الله – سبحانه وتعالى – به، وأمر به رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وذلك أن الإيمان نوع إقرار، والإقرار يجب أن يكون إقرارًا بالقلب، وإقرارًا باللسان، وإقرارًا بالجوارح.

فإقرار القلب اعتقاد ما أمر الله – سبحانه وتعالى – به، وإعمال القلب فيما أمر الله – سبحانه وتعالى – به من التوكل والإنابة، والخشية، والرهبة، ونحو ذلك.

وأما إقرار اللسان فهو الكلام بما أمر الله – سبحانه وتعالى – به من ذلك الاعتقاد الذي هو في القلب، وهذا مأمور به الإنسان.

وكذلك إقرار الجوارح وهو عملها بما أقرَّرت به في ذلك القلب من الأعمال.

---

(1) – التمهيد (9/ 238)

فلابد من وجود هذه الثلاث حتى يكون الإيمان على وفق ما أمر الله – سبحانه وتعالى – به.

فنقول: الإيمان قول أي: قول باللسان.

و"عمل" أي: عمل بالجوارح، أو بالأركان كذلك تسمع من كلام أهل العلم: عمل بالأركان، عمل بالجوارح، أو عمل بالأعضاء.

هذا كله دال على العمل الظاهري، وكذلك الاعتقاد، قلنا: قول، وعمل، واعتقاد.

الدليل عليه: أما القول فقوله – تعالى –: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيات.

وفي الحديث قوله – ﷺ –: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يقولوا: لا إلَهَ إلّا اللهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلّا اللهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ، ونَفْسَهُ، إلّا بحَقِّهِ وحِسابُهُ على اللهِ»[1]

وأما العمل فقوله – تبارك وتعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٧-٧٨]

فناداهم باسم الإيمان، ثم أمرهم – سبحانه وتعالى – بالركوع والسجود، وعبادة الله – سبحانه وتعالى – وفعل الخير والجهاد في الله حق جهاده.

وأما في الاعتقاد فقوله – تعالى –: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

وقوله – ﷺ –: «مَن شهِد أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ مخلصًا مِن قلبِه دخَل الجنَّةَ»[2].

فقيد ذلك رسول الله – ﷺ – بوجود الخلوص في القلب.

وهنا مسألة مهمة، ومسألة عظيمة لعلها من أعظم المسائل في هذا الباب، وهي تحل كثيرًا من العقد التي قد تحصل لكثير من الناس في هذا الباب:

الإيمان عند أهل السنة يتجزأ أبعاضًا، إذا زال بعضه، بقي الآخر، ما لم يكن الزوال في أصله.

---

(1) – أخرجه البخاري (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠)

(2) – صحيح ابن حبان(٢٠٠)

والإيمان له شعب، كما أن الكفر له شعب، هذا الذي تظافرت به أدلة القرآن وأدلة السنة؛ ولذلك دلَّت الأدلة على أن العبد قد تقع منه المعصية، لكن لا تسلبه الإيمان، ودلَّت على تفاوت أهل القبلة في الإيمان بالله – تبارك وتعالى – فليس إيمان النبي – ﷺ – كإيمان آحاد هذه الأمة، ولا إيمان أبي بكر – رضي الله عنه – كإيمان من هو دونه، وهكذا..

ولذلك نحن نقول: إن الإيمان يتجزأ ويتبعض فإذا زال بعضه بقي الآخر، البعض الآخر ما لم يكن ذلك الزوال في أصل الإيمان.

وأصل الإيمان الذي نذكره نريد به: التوحيد، وأصول الدين.

وخالف في هذا الأصل أكثر المتكلمين، فقالوا: الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض إذا زال بعضه، زال كله.

هذا القول فيه مفاسد، يترتب عليه إما القول بتكفير أهل القبلة، أو القول باعتقاد إيمان بعض أهل الضلالة المعاندين للرسل – نسأل الله السلامة والعافية – وهذا كله باطل دلَّت نصوص القرآن والسنة على بطلانه.

وأكثر أسباب وجود الضلالة في هذا الباب هو: التمسك بعمومات أدلة الشريعة وطرح الأدلة المفصلة لها، والواجب على المؤمن رد المتشابه إلى المحكم كما قال الله – تبارك وتعالى –:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

[آل عمران: ٧]

ويقول النبي – ﷺ – لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: «فإذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئكِ الذين سمَّ الله فاحذروهم»[1]

(1) – صحيح البخاري(٤٥٤٧)

ثم انتقل المصنف أو الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – إلى الكلام عن طاعة ولاة الأمر، والكلام على الإمامة، وحكم الخروج على ولاة الأمر، فقال:

وأنَّ طاعـــةَ أولـــي الأمـــر واجبـــةٌ *** مـــن الهُـــداة نجـــوم العلـــم والأُمـــرَا
إلاَّ إذا أمـــــروا يومًـــــا بمعصـــــية *** مـــن المعاصـــي فيُلغـــى أمـــرهم هَـــدَرَا

قوله: "من الهُداة نجوم العلم" يعني بهم العلماء.

وقوله: " والأُمرَا" هم ولاة الأمور من الحكام.

وقوله: " هَدَرَا" قال الخليل بن أحمد:

الهدر: ما يبطل.

يقول ابن أبي زيد – رَحِمَهُ اللَّهُ – في كتابه "الجامع":

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من برٍّ أو فاجر فلا يخرج عليهم، جارَ أو عدل، ويغزى معه العدو، ويحج معه البيت، ودفع الصدقات إليه مجزية إذا طلبوها، وتصلى خلفهم الجمعة والعيد.

وهذا الكلام ضريح، لأنه لما وضع كتاب "الجامع" وضعه في عقيدة مالك – رَحِمَهُ اللَّهُ – وأن هذه هي عقيدة مالك بن أنس – رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة – وقد أشرنا إلى أصول المعتزلة في هذه المسألة، وأصلهم الذي يقولون فيه:

"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ويريدون به الخروج على أئمة المسلمين.

ولاة الأمر كما أشار إلى ذلك المصنف – رَحِمَهُ اللَّهُ – بقوله: "من الهداة نجوم العلم والأمراء"

ولاة الأمر نوعان:

الأول: هم الأمراء.

وهم كل من ولي حراسة الدين، وسياسة الدنيا من الحكام.

وهذا المنصب هو المنصب الذي ينوب عن رسول الله –ﷺ– في هذا الباب، أعني: في باب حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

وهذا كله بغض النظر عن المسمى الذي تسمى به أو سماه به الناس كالخليفة والإمام، وأمير المؤمنين، والحاكم، والرئيس، والملك، والأمير وغير ذلك من المسميات التي قد يتسمى بها الحاكم أو يسميه بها الناس.

النوع الثاني أو الصنف الثاني: هم العلماء.

وهم أهل الفتوى وأهل العلم في الدين.

والطاعة لهم هنا إنما يراد بها ما كان راجعًا إلى أمر الدين، وتوجيه الناس له.

فالعلماء يبينون للناس الدين، والأمراء يحملون الناس على الدين، فمن هذا الباب جُعل العلماء من أنواع ولاة الأمر.

لكن ليس المراد بحال أن العلماء يشاركون الأمراء في سياسة الرعية، بل العلماء مأمورون بطاعة الأمراء، والسمع لهم، ورد القلوب النافرة إليهم.

وقد أجمع أهل السنة على وجوب إقامة الإمامة، ونصب السلطان وأن ذلك من الأمور التي تعظم بها الأديان، وتحرس بها الثغور، وتقام بها الحدود، ويحفظ بها الأمن، وتصان بها الأعراض، والدماء، يقول النبي –ﷺ–: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[1]

كما أجمع أهل السنة على وجوب السمع والطاعة للسلطان، والبيعة له، وحرمة نزع اليد من الطاعة، وحرمة مخالفة أمره، ورأيه يقول النبي –ﷺ– في الحديث الصحيح: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد

(1) – صحيح الجامع(٦٢٢٩)

عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه»[1]

وقال النبي –ﷺ–: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»[2]

وذكر منهم –ﷺ–: « ورَجُلٌ بايَعَ إمامًا لا يُبايِعُهُ إلَّا لِدُنْيا فإنْ أعْطاهُ مِنْها وفى، وإنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْها لَمْ يَفِ »[3] أو كما قال –ﷺ–

وهذا حال كثير من الناس اليوم وخصوصًا في مثل هذه الأعصار المتأخرة ترى أنَّ كثيرًا منهم إذا أعطاه ولي الأمر رضي، وإذا منعه من شيء سخط، وقد قال النبي –ﷺ– في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم «اسمع وأطع وإن تأمر عليك عبد حبشي»[4]

وفي الحديث الآخر قال النبي –ﷺ–: « تسمعُ وتُطيعُ الأميرَ، وإن ضرب ظهرَك، وأخذ مالَك »[5]

والكلام في هذه المسألة يطول ولعلنا نكتفي بهذا..

ثم ذكر –رَحِمَهُ اللَّهُ– أبياتًا في فضل أصحاب النبي –ﷺ– وسلف هذه الأمة من القرون المفضلة، قال:

وأنَّ أفضـــلَ قـــرن للَّـــذين رأوا *** نبيَّنـــا وبهـــم ديـــنُ الهُـــدى نُصـــرَا
أعِنـــي الصـــحابةَ رُهبـــانٌ بلـــيلهمُ *** وفي النهـار لـدى الهَيْجَـا لُيـوث شَـرَى
وخيـرُهم مَـن ولِـي مـنهم خلافتـه *** والسَّبق في الفضل للصِّدِّيق معْ عُمَرَا
والتـــابعون بإحســـان لهـــم وكـــذا *** أتبـاع أتبـاعهم مِمَّـن قفـى الأثَـرَا
وواجـبٌ ذِكـرُ كـلّ مـن صـحابته *** بـالخير والكـفُّ عمَّـا بيـنهم شَـجَرَا

(1) –أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥)

(2) – صحيح مسلم (١٠٦)

(3) – أخرجه البخاري (٧٢١٢)، ومسلم (١٠٨)

(4) – صحيح مسلم (1298)

(5) – السلسلة الصحيحة(٢٧٣٩)

فـلا تخُـض في حـروب بيـنهم وقعـت *** عـن اجتهـاد وكـنْ إن خُضـتَ معتـذِرَا
والاقتــداءُ بهــم في الــدِّين مفتَــرَضٌ *** فاقتَــد بهــم واتَّبــع الآثــار والسُّــوَرَا

هذه الأبيات ذكرها – رَحِمَهُ اللَّهُ – في منزلة القرون المفضلة الذين على رأسهم أصحاب النبي – ﷺ – ورضي الله تعالى عنهم أجمعين – وقد أخبر النبي – ﷺ – عن خيرية القرون الفاضلة الثلاثة، فقال – صلوات الله وسلامه عليه –: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1]

ومن عقائد أهل السنة والجماعة وجوب أن يُحب أصحاب النبي – ﷺ – أن يعظم أصحاب النبي – ﷺ – ويقتدى بأصحاب النبي – ﷺ – كما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠]

قال في النظم: "قرن" القرن هو المدة من الزمن، وقيل: هي مائة سنة.

والأظهر أن المراد بها في هذا الحديث الجيل الذي لقي من قبله.

وقوله: "رهبان" جمع راهب، ويراد به: المتعبد.

وقوله: "هيجا" الهيجاء هي الحرب.

وقوله: "شرى" هو الموضع كثير الأَسْد، جمع أسد.

وقوله: "ليوث شرى" المكان الذي يجتمعون فيه، فيقال: "ليوث شرى" يراد بهم الأشداء، الأقوياء.

يقول ابن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد – ﷺ – أبر قلوب العباد فاختاره لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحاب محمد – ﷺ – أبر قلوب العباد فاختارهم لصحبته)[2].

---

(1) – صحيح الترمذي (٢٣٠٢)

(2) – تخريج أحاديث المصابيح (٥/ ٢٥٨)

هذه هي منزلة أصحاب النبي – ﷺ – وقد أخبرنا الله – تبارك وتعالى – عن منزلة الصحابة – رضي الله عنهم – في آيات كثيرة، ويكفي في ذلك قول الله – تبارك وتعالى – للمشركين حين قال ربنا – تبارك وتعالى –: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ [البقرة: ١٣٧]

قال أهل العلم:

الآية قد جعلت إيمان أصحاب رسول الله – ﷺ – ميزانًا لإيمان الناس.

فإذا أراد العبد أن يرى ويقيس إيمانه بالله – تبارك وتعالى – فعنده هذا الميزان، وهو ميزان أصحاب رسول الله – ﷺ –

ونبينا – ﷺ – قد حثَّنا على صحابته فقال: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي»[1].

فخذوا بوصية رسول الله – ﷺ – في صحابته – رضي الله عنهم – ويكفي في ذلك الحديث الذي ذكرناه: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»

وخيريتهم – رضي الله عنهم – في أبواب الإيمان كلها، خيرية في الاعتقاد، وخيرية في العمل، وخيرية في القول – رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين – وجعلنا وإياكم من التابعين المقتفين لآثارهم.

ثم قال – رحمه الله –:

وتـركُ مـا أحدثـه المُحـدِثون فكـم *** ضـلالة تبعـت والـدِّين قـد هُجِـرَا
إنْ الهُـدى مـا هـدى الهـادي إليـه ومـا *** بـه الكتـاب كتـاب الله قـد أمَـرَا
فـلا مـراء ومـا في الـدِّين مـن جـدلِ *** وهـل يُجـادل إلاَّ كـلُّ مَـن كفـرا

ذكر – رحمه الله – هذه الأبيات في لزوم سنة النبي – ﷺ – والحذر من البدعة.

وقوله: "المحدثون" جمع محدث وهو كل من أحدث في الدين.

---

(١) – صحيح ابن حبان(٧٢٥٦)

والإحداث في الدين يكون بالبدع بأنواعها، وألوانها بقصد حسن أو بقصد سيء، الإحداث في الدين يكون بالبدع بأنواعها، وألوانها وأشكالها بقصد حسن أو بقصد سيء، وقد قال النبي –ﷺ– : «إياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(1)

وقوله: "مِراء" المراء الجدال والنزاع.

تقول: ماراه إذا جادله.

وقوله: "وهل يجادل إلا من كفرا" قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ ﴾ [الأنعام: ٢٥]

وقال الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ صلى

[الكهف: ٥٦]

وقال الله – عز وجل –:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤]

أي: ما يخاصم ويماري في آيات الله التي هي القرآن وأدلة وحدانية الله – عز وجل – ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون، الذين جحدوا أنه إله الحق – سبحانه وتعالى – والذين خافوا وعارضوا سنة رسول الله –ﷺ– ولذلك كان الواجب اتباع ما جاء به رسول الله –ﷺ– وقد أخبر الله – تبارك وتعالى – أن رسول الله –ﷺ– قد أكمل هذا الدين، فقال ربنا – تبارك وتعالى –: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]

فما أكمل الله – سبحانه وتعالى – هذا الدين وأتمه به على عهد رسول الله –ﷺ– وما مات عنه رسول الله –ﷺ– فهو الدين الكامل الذي لا يحتاج الإنسان إليه إلى شيء من الزيادة، أو التغيير والتبديل والتحريف.

فلا نكون عندنا ضرب من ضرب النصارى واليهود الذين بدلوا في دينهم لأجل الأهواء، والآراء التي أحدثوها الناس بعد أنبيائهم – صلوات الله وسلامه عليهم – فالدين هذا كامل، ليس فيه شيء

(1) – تخريج كتاب السنة(٣١)

من الحاجة إلى شيء من الإحداث فيه، والزيادة فيه أو النقص منه؛ لأن رسول الله –ﷺ– قد أكمل هذا الدين، وقد قال الله –تبارك وتعالى –: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٧]

والرسول –ﷺ– قد أكمل هذا الدين، وهذا الذي يجب أن يعتقده كل مسلم على ظهر الأرض أن رسول الله –ﷺ– ما ترك من شاردة ولا واردة يحتاج إليها الناس إلا وبينها –ﷺ– لذلك كما يقول أبو ذر – رضي الله عنه –: (لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء – إلا وهو يذكرنا منه علما)[1] أو كما قال أبو ذر – رضي الله عنه وأرضاه –

فالواجب اتباع سنة النبي –ﷺ– والحذر من المحدثات وإذا تأملت في قول النبي –ﷺ– «وإياكم ومحدثات الأمور».

المحدث كما قلنا: هو كل شيء مستجد، أو شيء استجد في هذا الدين.

فالنبي –ﷺ– حذر من المحدثات عمومًا، ولم يختص النبي –ﷺ– نوعًا من المحدثات، ثم قال – ﷺ –: «وكل محدثة بدعة».

فأخبر النبي –ﷺ– أن كل المحدثات يطلق عليها اسم الإحداث أنها محدثة.

ثم أخبر النبي –ﷺ– أن كل البدع، إذا كانت المحدثات بدع؛ فكل البدع ضلالة، فلم يستثني النبي –ﷺ– نوعًا من البدع، وقول: "كل" هو من أصرح وأوضح ألفاظ الجموع التي تدل على الجمع.

فقوله: «كل بدعة ضلالة» فلم يستثني النبي –ﷺ– ولذلك جاء عند الدارمي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»[2]

فالواجب الاقتداء برسول الله –ﷺ– وما كان عليه رسول الله –ﷺ–

ثم قال الناظم – رحمة الله تعالى –:

---

(1)–رواه الطيالسي (479) وأحمد (5/ 153) (21399)

(2) – أحكام الجنائز (٢٥٨)• موقوفًا بإسناد صحيح وإنما يصح منه مرفوعًا الشطر الأول

فهـــاك في مـــذهب الأســـلاف قافيـــةً *** نظمًـــا بـــديعًا وجيـــزَ اللَّفـــظ مختصـــرًا
يحـــوي مهمّـــات بـــاب في العقيـــدة مـــن *** رســـالة ابـــن أبـــي زيـــد الـــذي اشـــتهرَا
والحمـــــــد لله مولانـــــا ونســـــأله *** غفـــران مـــا قـــلَّ مـــن ذنـــب ومـــا كثـــرَا
ثـــمَّ الصـــلاةُ علـــى مَـــن عـــمَّ بعثتـــه *** فأنـــذر الثَّقلـــين الجـــنّ والبَشَـــرَا
وواجـــبٌ ذِكـــرُ كـــلّ مـــن صـــحابته *** ولـــيس يُنْسَـــخُ مـــا دام الصَّـــفَا وحِـــرَا
محمـــد خيـــر كـــلِّ العـــالَمين بِـــهِ *** خـــتم النبيِّـــين والرُّســـل الكـــرام جَـــرَا
ولـــيس مـــن بعـــده يـــوحَى إلـــى أحـــد *** ومـــن أجـــاز فحَـــلَّ قتلُـــه هَـــدَرَا
والآلُ والصَّـــحبُ مـــا ناحـــت علـــى فـــنَن *** وَرْقَـــا ومَـــا غـــرَّدت قُمْريّـــة سَـــحَرَا

هكذا ختم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – هذه الأبيات.

قوله: "فهاك قافية" القافية " فهاك في مذهب الأسلاف قافيةً" القافية هي آخر كل شيء، والقافية من الشعر هي: آخر كلمة، أو آخر الحروف التي تبدأ بمتحرك يليه آخر ساكن في آخر كل بيت.

هو آخر الحروف التي تبدأ بمتحرك، يلي آخر ساكن في آخر كل بيت.

وقوله: "الثقلين" قال ابن سيده:

الثقلان الإنس والجن، وفي التنزيل: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ ﴾ [الرحمن: ٣١]

وقال: " لَكُمْ" لأن الثقلين الإنس والجن.

طبعًا تسمية "الثقلين" بالإنس والجن "الثقل" هو الحمل في اللغة، وسمي الثقلان بهذا الاسم قال أهل العلم: من باب على أنه هو مثنى لكنه يراد به الجمع لأنهم قد ملؤوا هذه الأرض، والله أعلم.

قوله: "الصفا" قال الأزهري:

الصفا أي: العريض من الحجارة الأملس.

وقوله: "فنن" قال ابن دريد:

"الفنن" الغصن.

وفصَّل قوم من أهل اللغة فقالوا: "الغصن" القضيب الواحد، و"الفنن" ما تشعب.

قلت: وجمعه أفنان.

قال الشاعر:

فلأبكينـــك مـــا بكـــت قمريـــة *** تـــدعو علـــى فـــنن الغصـــون حمامـــا

وقوله: "ورقا" الورقاء الحمامة.

قال الخليل:

(والورقة سواد في غبرة كلون الرماد).

قوله: "قمرية" قال ابن دريد:

(القمري ضرب من الطير؛ الذكر قُمري، والانثى قمرية، والجمع القمري).

وقوله: "سحرا" قال الأزهري:

(السَّحر والسُّحرة بياض يعلو السواد، يقال بالسين والصاد إلا أن السين أكثر ما تستعمل في سحر الصبح). هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر.

ففي هذه الأبيات المصنف أو الناظم – رَحِمَهُ اللَّهُ – ذكر فيها خاتمة هذه الأبيات التي ختم بها، وذكر في ضمن هذه الخاتمة مسائل، فمما ذكره – رَحِمَهُ اللَّهُ – بعد صلاته على النبي – ﷺ – قال:

ودينُـــه نَسَـــخ الأديـــانَ أجمَعَهـــا *** ولـــيس يُنْسَـــخُ مـــا دام الصَّـــفَا وحِـــرَا

دين النبي – ﷺ – هو الدين الذي نسخت به جميع الأديان السابقة، وبعد بعثة النبي – ﷺ – فالناس كلهم مأمورون باتباع رسول الله – ﷺ –

ولذلك لما رأى النبي –ﷺ– عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقرأ في التوراة غضب النبي –ﷺ– وقال: « أَمُتَهَوِّكون فيها يا ابنَ الخطابِ والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقِيَّةً لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحقٍّ فتكذبوا به أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وَسِعَه إلا أن يَتَّبِعَني »[1].

وقال النبي –ﷺ–: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »[2].

فدين الإسلام ناسخ لجميع الأديان السابقة، وليس يبقى بعد دين الإسلام دين، ولن يستجد دين بعد دين الإسلام، يكون هو الدين الذي ينسخ الأديان التي قبله، أو يختم به ما بعد الإسلام، فدين الإسلام خاتم الأديان، كما قال الله – سبحانه وتعالى – عن رسوله: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

رسول الله –ﷺ– وهذا به نختم، نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يختم لي ولكم بالصالحات.

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يتولانا وإياكم برحمته، ومنته، أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يتقبل منا.

وما كان من زلل أو خلل أو اختصار مخل فنسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يتجاوز، والوقت ضيق حقيقة فيما يتعلق بهذا النظم، لكن لعلي أختم بنصيحة، ووصية:

وهذه النصيحة تتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأقول: يا إخوة ويا أخوات حقيقة أننا نعاني في هذا الزمن المتأخر من ضعف شديد في باب الاعتقاد، وقلة قراءة وتعلم لعقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك نرى اليوم كثير من التخبط، ونرى اليوم ظهور بعض الذين ينتسبون إلى

---

(1) – البداية والنهاية(٢/ ١٢٢) إسناده على شرط مسلم

(2) – أخرجه مسلم حديث (153)

الإلحاد، أو من ينتسب إلى بعض الشبه أو يدعو إلى بعض الشبه، وينشر بعض الشبه، حتى صارت بعض المسلمات الشرعية اليوم تحتاج إلى إثبات، وتحتاج إلى إيضاح.

إذا كان أهل السنة عندهم ضعف في تعلم عقيدة أهل السنة والجماعة فمن ذا الذي يتعلم هذه العقيدة؟! ومن ذا الذي يعلم هذه العقيدة؟! وإن قلَّت مجالس العلم في هذا الباب فلا تقل القراءة، ولا يقل السماع لكتب أو للدروس العلمية المسجلة في مثل هذه المجالس المتعلقة باعتقاد أهل السنة.

الله الله في العقيدة وهي وصية عظيمة وصى بها علماء الإسلام وعلماء السنة؛ ولذلك اليوم نرى انتشار الجماعات والفرق والأحزاب وكل يدعو إلى فرقته، وحزبه، وجماعته، وطريقته، ومنهجه، وكل ينزع نفسه، وينزع إلى نفسه هذا الدين، ويجذب هذا الدين إلى نفسه، وترى اليوم كذلك ظهور بعض الجماعات التي استحلت ما حرم الله – سبحانه وتعالى – وكذلك بعض الجماعات التي استحلت الدماء والأعراض، والفروج، والدماء والأموال، وحصل بذلك فتن وقلاقل الله – سبحانه وتعالى – بها عليم.

فالله الله في تعلم سنة النبي – ﷺ – وتعلم عقيدة أهل السنة والجماعة فهي حصن حصين من الفتن والشبهات والشهوات، ومعينة بحول الله – سبحانه وتعالى – على سلوك المنهاج الصحيح الواضح الذي كان عليه رسول الله – ﷺ – والذي كان عليه أصحابه – رضي الله عنهم –

وأختم بالشكر الجزيل لولاة أمرنا أولاً جزاهم الله عنا خير الجزاء، وجعل الله – سبحانه وتعالى – أعمالهم باقية عنده – سبحانه وتعالى – وذخرًا لهم، وأن يجعل الله – سبحانه وتعالى – في ذريتهم الخير والسداد لهذا البلد المعطاء، ولجميع بلاد الإسلام، بل لجميع بلاد العالم، وكذلك الشكر موصول لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري على الإشراف على مثل هذه الدروس والمجالس النافعة أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يعظم الأجر لجميعهم على يبذلونه في هذا الباب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى مركز رياض الصالحين، والقائمين عليه من مدير، وجميع الأفراد العاملين في هذا المركز، أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجزل المثوبة، ويعظم لهم الأجر، ولهم في ذلك اليد الطولى، أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل أجرهم جاريًا باقيًا إلى أن تقوم الساعة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الوالد خليفة بن ضاعن أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يبارك في عمره، وأن يشافيه، ويعافيه – سبحانه وتعالى – فإنه الذي ما يدخر شيء من الوقت في السعي في نشر مثل هذه المجالس التي فيها الخير الجزيل والعظيم.

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يتولاني وإياكم برحمته، ومنته، والشكر لكم على صبركم وإنصاتكم.

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

【 لعبة كنوز العلم 】 ⑪
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية